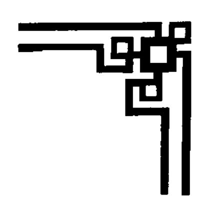


نساء صالحات
من التاريخ الإسلامي
محي الدين عبد الحميد
مكتبة الخدمات الحديثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

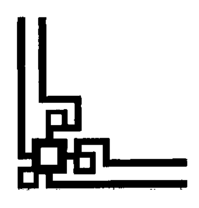
ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
مكتبة الخدمات الحديثة
الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

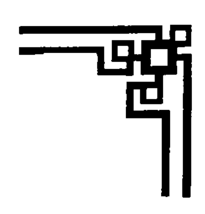
مكتبة الخدمات الحديثة
المملكة العربية السعودية -جدة
٤٦ شارع العلماء المتفرع من شارع الصحافة
حي العزيزية
بالقرب من الدفاع المدني ومسجد الأميرة جوهرة
تليفون و فاكس ٦٧٢٦١٦٥
صندوق بريد ١٦٥٣٣٥ جدة ٢١٤٧٤



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٥].





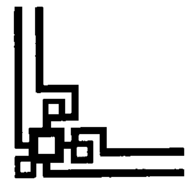
إهــداء

إلى أختي المسلمة...

التي ترجو الله ورسوله

والـدار الآخـــرة

أهدي هذا الكتاب



إلى أختي السلطة.

التي تجمع الشـ

ـام

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. . .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾(١).

وبعد. . . .

فإن أبواق الدعاية التي يروج لها أعداء الإسلام تنعق ليل نهار، لتعطي صورة زائفة عن المرأة المسلمة وحقيقتها، وحتى تشوه لها حقيقة تراثها وتاريخها التي تستمد منه عزتها وكرامتها، بعدما أدركوا دورها في بناء الأجيال وإعداد الرجال الذين حملوا مشعل الهداية. وراحوا ينشرون النور بعد الظلام والهدى بعد الضلال.

وبات من المحتم علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نتصدى لمثل هذه الدعايات المغرضة بشتى الوسائل، خاصة بعد أن استطاعت أن تؤتي بعض ثمارها مع ذوي النفوس الضعيفة والقلوب الخائرة، فزينوا لها كل منكر، وحسنوا لها كل خبيث، بدعوى التحرر من الرجعية، والسير قدماً نحو ركب الحضارة والتقدم.

وإن من الخير لكل مسلمة آمنت بربها، أن تتعرف على حقيقة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦.

تاريخها وتراثها، وتنهل من نبعه، وتحيا بين نفحاته، وتتلمس الأسوة والقدوة، فتؤمِّن نفسها ضد ما يحاك لها دون الوصول إليها، وهذا لعمري أمر يزعج أعداء الإسلام ويملأ قلوبهم فزعاً ورعباً، ناسين أو متناسين، أن الإسلام هو الذي صنع تاريخنا، وصان حياتنا، وهو الذي يضمن لنا القوة والمنعة ويكفل لنا النصر والتمكين.

وهذا الكتاب... محاولة متواضعة في هذا الميدان، وسياحة عبر القرون التي خلت، نقدم من خلالها نماذج لنساء صالحات عابدات، قانتات مجاهدات، زَيَّنَّ التاريخ بأعمالهن، فكانوا الشمس المشرقة حين تتلبد السماء بالغمام، ومنارات الهدى حين تضيء الطريق للحائرين.

لقد حققت المرأة المسلمة في صدر الإسلام، وخلال أطوار المجتمع الإسلامي الواعية، إنسانيتها الكاملة، وكانت مضرب المثل ومنار القدوة في الوفاء والإخلاص والطاعة لزوجها، وإعداد الأبطال من أبنائها، في التضحية والفداء والبذل والعطاء، في الثبات وتحمل الصعاب والعذاب، في الهُدَى والتُّقَى والعفاف والغنى، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الاعتماد على نفسها، في التعلم والتفقه وتعليم الآخرين، في الجرأة والشجاعة والفصاحة والبلاغة وقرض الشعر.

وكان دأبها دائماً هو الطُّهر والعفة، والأنفة والعزة، والصبر والمجاهدة، فكانت استمراراً متصلاً لآداب دينها الإسلامي العظيم...

تلك هي بعض النماذج للنساء، قدمتها من خلال فصول هذا الكتاب، ابتدأتها بخير نساء العالمين، ثم بأمهات المرسلين عليهم السلام، فأزواج النبي أمهات المؤمنين وبناته ﷺ ثم عرضنا نماذج لبعض الصحابيات وأخرى للتابعيات فنساء شهيرات ومجاهدات، إلى نساء عابدات زاهدات ولم يفتنا أن نعرض نماذج لنساء فصيحات بليغات...

وهدفنا في النهاية، أن نقدم القدوة والمثل، لعلّنا نقتفي أثرها ونقتدي بها في حياتنا...

اللهم وفقنا لما تحب وترضى، وجنِّبنا وإخواننا وأخواتنا مكر الماكرين، وكيد الكائدين، من أعدائك أعداء الدين، وصلاة وسلاماً على خاتم الأنبياء والمرسلين...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

محيي الدين عبد الحميد

كلمة الناشر

★ لقد ظهرت لكثير من النساء، أعمال عظام سطَّرها التاريخ لتكون نبراساً يضيء الطريق لمن بعدهن من المؤمنات في مجالات الحياة المتعددة.

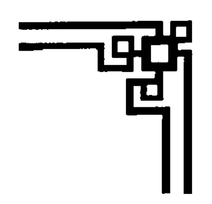
* **في** الدعوة إلى اللهً على بصيرة.
* **في** العلم والتعلّم والتفقّه في أمور الدين.
* **في** إدارة شؤون بيتها ومشاركة مشاق الحياة وصعابها.
* **في** أقدس غاية وأكرم عمل حيث تتعهد الطفولة وتغرس سمات الرجولة وتشيع في بيتها الحب والأمن والحنان.
* **في** فدائيتها وجهادها ودفعها أبنائها وزوجها لساحة الجهاد.
* **في** سبيل اللهً صابرة محتسبة راضية.
* **في** معاملاتها مع غيرها، والبر والإحسان إبتغاء مرضاة ربّها.
* **في** روعها، وزهدها وعبادتها.
* **في** فصاحتها وبلاغتها، وجرأتها وحسن بيانها.
* **في** كل شؤون حياتها، معتصمة بحبل ربّها، متمسكة بسنة نبيها ﷺ وما جاء به من الهدىٰ ودين الحق.

فهل ستتكرر تلك النماذج الرائعة من النساء اللآئي آثرن الحياة الباقية على الدنيا الفانية ؟؟ فطوبى لهن وحسن مآب.

الفصل الأول:

خيرُ نساء العالمين

* السيدة: آسية امرأة فرعون رضي الله عنها.
* السيدة: مريم ابنة عمران عليها السلام.
* السيدة: خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.
* السيدة: فاطمة بنت محمد ﷺ رضي الله عنها.



قال رسول الله ﷺ :

((خير نساء العالمين أربع :

* آسية إمرأة فرعون.

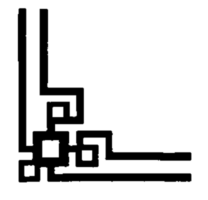
* ومريم ابنة عمران.

* وخديجة بنت خويلد.

* وفاطمة بنت محمد.)) ﷺ

رضي الله عنهن جميعاً

[رواه البخاري والترمذي في المناقب]



آسية بنت مزاحم
رضي الله عنها
[زوجة فرعون موسى]

كانت من خيار النساء المعدودات، تزوجت بفرعون موسى ملك مصر، ولم تلد منه، وكان يحبها حباً جمًّا لكمال طبعها ودماثة خلقها، فكم دفعت بلاء، ودرأت مصائب وبدّلت العسر يسراً حتى كانت رحمة للعباد في زمن فرعون الفراعنة وداهية الدواهي.

فمن ذلك حادث رسول الله موسى عليه السلام فقد جاء في سير الأنبياء أنه بينما كانت آسية في حديقتها الغنَّاء وروضتها الفيحاء، تجري من تحتها الأنهار، إذا بتابوت قد أقبل عائماً على الماء، يجري الهوينى حتى صار منها قاب قوسين أو أدنى، فأمرت جواريها بإخراجه لاستطلاع أمره والوقوف على خبره، وصدق الله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[1].

فلما فتح التابوت، إذا بداخله مولود كريم، بهيّ الطلعة، فحرّك منها عوامل الحنان، وتملكها من أجله الرفق والإشفاق وألقى الله عليه محبة منها، فأمرت به أن يحمل إلى القصر، وأن يتعهد بالعناية، ويشمل بالرعاية.

ولما وصل خبره إلى فرعون، أمر بقتله، لأنه كان قد رأى مناماً هَالَه فأحضر الكهنة والمفسرين من أرباب دولته، وقصَّ عليهم رؤياه،

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧.

فحذروه من مولود يولد في عهده من الصبيان من بني إسرائيل، فحالت دون قتله آسية، وشفعت له عند فرعون، وقدمته إليه في حنان وهي تقول: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾[1].

وينزل الله العمى على قلب فرعون، ويقع أسيراً لقوة حجتها وصدق بيانها، ويهبه لها طائعاً مختاراً ليكون له عدوًّا وحَزَنا، ويقول لها: أما أنا فلا حاجة لي فيه، وكان هذا هو أقصى ما تريد.

يقول المفسرون: إن آسية كانت فوق جمالها الرائع قوية الشخصية، قادرة على التأثير فيمن حولها بمنطقها وحجتها وتلك لعمري قوة الحق يقذف به الله على الباطل فإذا هو زاهق، حيث لم يملك كلاً من فرعون ووزيره هامان إلا أن يستجيبا لما طلبت على الرغم من أنه القتل والدمار لفرعون وهامان وجنودهما وهم لا يشعرون، وصدق الله: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠ ﴾[2].

فلما آمنت آسية على الطفل سمّته (موسى) وَرُبِّيَ في دار فرعون حتى بلغ أشدّه.

وعندما كلَّفه ربُّه بتبليغ الرسالة إلى قومه، كانت آسية ممن آمن بموسى، فلما أدرك فرعون منها ذلك إنقلب عليها وتبدل حبه لها عداء، لكنها لم تعبأ له لما كانت تعلم من أنها على حق.

ولقد كان إيمانها راسخاً قوياً، إذ وقفت وجهاً لوجه أمام فرعون وقومه الظالمين تجهر بالوحدانية وتصدع بالحق، وترفض العبودية لغير الله رب العالمين، مؤثرة ما عندالله جل وعلا من جنة، مطمئنة إلى قدرة الله وعظمته من أنه منجِّيها من طغيان فرعون وجبروته فكانت آسية صنفاً آخر من البشر، صنفاً سلمت فطرته، ونقت سريرته، وصفت

---

(١) سورة القصص، الآية: ٩.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

قريحته لا ينثني عن الحق، ولا يرضخ للسلطان، فأبت واستعلت على دعوة فرعون للألوهية، تاركة كل السلطان والجاه الذي تعيشه وراءها، فآمنت وصدقت بدعوة موسى عليه السلام رغم التهديد والوعيد وجبروت الانتقام الذي ينتظرها، مؤثرة الإستشهاد في سبيل عقيدتها قائلة بأعلى صوتها والإيمان بالله يعمر قلبها: آمنت برب موسى وهارون، ولم يستخفها فرعون كما استخف قومه، فاستحقت أن يضرب الله بها المثل للنساء الصالحات المؤمنات قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾[1].

واستجاب الله دعاءها فقد جاء على لسان رسول الله ﷺ أنها كانت من خير نساء العالمين...

لقد استعلت آسية بالحق وآمنت بالغيب، ولم تستهوها الأنهار تجري من تحتها في هذه الدنيا الفانية، ولم يغرها هذا البريق الخادع تحت ناظريها، بل ثبتت على شهادة أن لا إله إلا الله منذ أقرت بها مع سائر الخلق بين يدي الواحد الديان وهم بعد أرواحاً في ملكوت الله حتى لقيت ربها راضية مرضية مع الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وهذا ثابت في قول الحق جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[2].

وفي قول رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: «**أن الله تعالى قال لجميع خلقه أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، إني سأرسل إليكم رسلي يذكّرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم**

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

كتبي، قالوا شهدنا بأنك ربنا وإلهنا ولا رب غيرك»[1].

وكأني بها تستنكر من قومها، وهي تراهم يعبدون بشراً مثلهم ويسجدون له من دون الله فتقول ما قاله هدهد سليمان: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (٢٦) ﴾[2].

أو كأني بها تتعبد على دين يوسف عليه السلام: ﴿ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[3].

وكأني بها تسخر من فرعون، وهو يضل قومه ويقول لهم: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) ﴾[4].

وكان استشهاد آسية، يوم نصر الله موسى وهارون على فرعون وملئه في يوم الزينة. . .

ويقول ابن جرير الطبري: «كانت زوجة فرعون تسأل من غلب، فيقال: غلب موسى وهارون، فتقول: آمنت برب موسى وهارون»[5].

فلما التقفت عصا موسى كل ما كان يأفك سحرة فرعون أعلن المؤمنون عن إيمانهم، وأعلن الكفار عن كفرهم ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾[6]، ولقد توعدهم فرعون لإيمانهم هذا ليقطعن أيديهم وأرجلهم من خلاف، وليصلبنَّهمْ أجمعين.

---

(١) رواه الإمام أحمد.
(٢) سورة النمل، الآيتان: ٢٥ ـ ٢٦.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٤٠.
(٤) سورة غافر، الآية: ٢٩.
(٥) انظر تفسير الطبري.
(٦) سورة الشعراء، الآيات: ٤٦ ـ ٤٨.

أما آسية، فقد أرسل لها فرعون جنده يحملون أعظم صخرة يجدونها فيلقونها عليها إذ هي مضت على قولها وإيمانها بموسى ودعوته، فلم تهتز من الرعب ولم تلق بالاً لما يجري حولها، بل رفعت بصرها إلى السماء، والجند يتأهبون لإلقائها بالصخرة وقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾[1].

وهي في عالم آخر لا تقيم لما سيفعلون بها وزناً، بل اندفعت بقوة إيمانها متجهة إلى بارئها وخالقها تطلب جواره في الجنة فإذا بها تبصر بيتها في الجنة وهي لا تزال حيّة بين أعدائها يرحب بها الحور العين، فتضحك مستبشرة بما ترى وتسمع، ثم تفيض روحها إلى بارئها قبل أن ينال منها فرعون وجنده، ويعجب فرعون وكان واقفاً عند رأسها ويقول: ألا تعجبون؟!! إننا نعذبها وهي تضحك[2] وهو لا يدري أنها قد غادرت دنياه الفانية، واستقرت في دار النعيم المقيم فرحة بما أتاها ربها من فضله مستبشرة بالذين يلحقون بها من الشهداء والأبرار، مبتهجة بقصرها المنيف عند ربها، قصر ليس كقصور الدنيا، قصر فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[3][4].

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.

(٢) تفسير ابن كثير.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٤) أنظر من كتاب: «نساء فاضلات». عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف وزيادة».

مريم ابنة عمران
عليها السلام
[الأم العذراء]

إن مريم ابنة عمران آية من آيات الله في الأرض، لقد كانت في مولدها آية، وكانت في حياتها آية، وكانت في نسبها آية.

أما نسبها فقد كانت مريم على رأس آل عمران الذين اصطفاهم الله قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾(1).

أما مولدها، فقد كان آية... إذ كانت أمها عاقراً وكانت تشتهي الولد، فدعت ربها أن يرزقها بولد، فاستجاب لها ربها فلما حملت نذرت أن تهبه للخدمة في بيت المقدس(2).

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾(3).

فمنحها الله من هو خير من الولد، في مستقبل الأيام وكانت أنثى، هبة من الله جل وعلا، وسمتها مريم.

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾(4).

---

(1) سورة آل عمران، الآيتان ٣٣، ٣٤.

(2) البداية والنهاية لابن كثير.

(3) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

(4) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

وكان أعظم قبول لنذر أم مريم، فقد جعل الله من مريم أداة في خدمة الرب تعلو في قدرها خدمات الرجال المحرّرين، لبيت المقدس أضعافاً مضاعفة، لتعلم أن ابنتها مريم كانت منذ ولادتها محفوفة برعاية الله، وقد تقبلها من أمها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً حتى ساق الله على يديها معجزات بهرت بها العالمين، وهذا هو معنى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾[1].

تلكم هي مريم، دعوة أمها التي استجيبت بأفضل منها، والله يضاعف لمن يشاء، والله ذو الفضل العظيم، فاستحقت بهذا التكريم أن تكون ممن عدّدَهُن رسول الله ﷺ في قوله: «**خير نساء العالمين: آسية امرأة فرعون، ومريم إبنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد**».

ولقد ولدت يتيمة الأب، إذ مات والدها وهي لا تزال جنينا في بطن أمها[2]، فلما وضعتها ذهبت بها إلى بيت المقدس حتى تفي بنذرها، وسلمتها إلى نُسَّاك المسجد حتى تتربى منذ نعومة أظفارها على الطاعة والعبادة.

وتنازع النساك، أيُّهم يكفل مريم، وكان إمامهم نبيّ الله زكريا عليه السلام، واتفقوا فيما بينهم على الإقتراع، ولقد سجل القرآن الكريم واقعة إقتراع النساك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[3].

ولقد أكدت نتيجة الإقتراع بكفالة زكريا لمريم ثلاث مرات متوالية، فسلم النساك مريم لنبي الله زكريا، الذي اتخذ مكاناً شريفاً في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

المسجد خصصه لها، كي تعبد فيه ربها وتقوم بخدمة البيت في نوبتها، فصارت حياتها كلها خالصة لله، وتجلت عليها الكرامات لطوال ما انتظمت عليه من العبادات، فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب، وجد عندها طعاماً وشراباً لم ير له مثيلاً، فإذا سألها من أين لك هذا، قالت: هو من عند الله، قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

إن هذه المعجزة التي يسوقها الله على يد مريم، قد أثبتت لزكريا رعاية الله لأوليائه إثباتاً مادياً يؤكد عقيدته الإيمانية الراسخة بأن الله مع المؤمنين، فاتجه إلى ربه مخلصاً لعله يجد رعاية مماثلة من رب العرش العظيم، ويكون له من هذه الكرامات نصيب، فدعا ربه وهو الشيخ الذي وهن عظمه واشتعل رأسه شيباً أن يرزقه من لدنه ذرية طيبة ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾[2].

ويستجيب له ربه، ويبشره بغلام اسمه يحيى، وكما تعجب زكريا وهو يرى الرزق يأتي إلى مريم في محرابها، تعجب لهذه البشرى وامرأته عاقر وقد بلغ من الكبر عتيا، قال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾[3].

وكأن هذه البشرى قد جاءت إلى زكريا ليستيقن أن الله يعدّه لأمر خطير، ويهيؤه لأمر جلل، يهيؤه لقبول ميلاد عيسى من أمه العذراء دون أن يمسسها بشر.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.
(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

لقد جاءت بشرى زكريا بنفس الطريقة التي جاءت بها البشرى إلى مريم بالحمل في عيسى، حتى لا تتزعزع ثقته بمريم فنادته الملائكة تبشره بيحيى، فهل يمكن لزكريا بعد أن رأي الآية في نفسه أن ينكرها إذا جاءت نظيرتها من مريم؟؟

وكما هيأ الله زكريا لقبول هذه المعجزة، هيأ مريم لقبول معجزتها الخارقة لنواميس الكون والحياة، حتى لا ترهب أو توهن وهي تواجه قومها، إزاء هذا الموقف العصيب، ولتعلم أن الله معها حيثما كانت، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾(١).

إذن فالله تعالى يهيىء مريم لأداء رسالتها، ويهيىء كفيلها زكريا للدفاع معها عن هذه الرسالة. ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾(٢).

وتعجبت مريم فور تلقيها البشرى وقالت: ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾(٣)، وتأتي الإجابة: ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾(٤).

وكان حقاً على الله جل وعلا، أن يرى مريم رأي العين، بعد أن أسمعها البشرى نداء من الملائكة ما يحقق المزيد من الثبات والإيمان، فبينما كانت مريم وحدها في مغارة تقع شرقي بيت المقدس لتتزود ببعض الماء، إذ تمثّل لها جبريل عليه السلام داخل هذه المغارة وكأنه بشر، فارتاعت منه خشية أن يريدها هذا القادم بسوء في مكان يحجب

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٤٥، ٤٦.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

من فيه عن سائر الناس، فتصرخ مستعيذة بالله من هذا الإنس وتستحث فيه نخوة التقي والورع حتى تردعه عن التفكير في معصية الله معها ويصور لنا القرآن الكريم هذا المشهد الرهيب في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

وتطمئن مريم إلى أن الذي أمامها ما هو إلا رسول من عند الله، ولكن كيف يمكن أن يهب لها هذا الرسول النوراني غلاماً فتراجعه قائلة: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾[2]، وسرعان ما يتم الحمل بطريقة روحانية وهي يقظة، فينفخ جبريل عليه السلام بفيه نفخةً في جيب درعها حتى تلج في فرجها ويكون منها الحمل روحاً من عند الله بغير عدوان ولا بغي، ويتم ذلك وهي يقظى حتى لا تقع في هواجس الشك أن يكون إنس أو جنيّ أصابها وهي نائمة، فتعجز أو ترتبك أمام الذين يستعذبون الخوض في أعراض الأطهار، إنها رحمة من الله تفضل بها على مريم، التي أصبحت وهي حامل على يقين تام بأن حملها كان نتيجة نفخة من روح الله.

وبدأت مظاهر الحمل على مريم، وأول من لاحظها ابن عمها يوسف النجار، وبدون أن يتقوّل عليها استفسر منها بكل أدب، فهو يعلم تقواها ونقاءها، ودار بينهما حوار عقلاني كما قصتها على زكريا من قبل فصدق وآمن، فقد أعده الله إعداداً لذلك، وشهد بنفسه قربها من ربها الذي يأتيها برزقها في محرابها دون جهد أو عناء، ولكن تبقى

---

(١) سورة مريم، الآيات: ١٦ ـ ٢١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٢٠.

المواجهة بينها وبين قومها، تلك المواجهة العصيبة التي كانت تحسب لها كل حساب.

وجاءها المخاض، وحدها، وهي بعيدة عن أعين الناس وهي مرتكنة إلى جذع نخلة، ودار بخلدها الهواجس وتمنّت لو كان الله قد أماتها قبل أن تمتحن هذا الامتحان العسير ﴿فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾[1].

وتجتمع عليها بجانب الآلام النفسية، الآلام الجسدية وهي تواجه ألم المخاض، وحيدة فريدة، دون معين أو جليس، وفي حدة هذه الآلام، وفي غمرة هذا الهول، تقع المفاجأة الكبرى، حتى تطمئن وترضى، وينزل الطفل، ويناديها من تحتها بألاَّ تحزن ولتهدأ ولتطمئن فقد صدقها الله وعده، فيقول لها: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾[2]. لينقلها من هواجسها إلى ما في العمل من متعة وما في طلب الرزق من سعادة، فلتأخذ بالأسباب ولتهز الجذع، ثم يخبرها أن الله قد أجرى من تحتها جدولاً يتدفق فيه الماء لتشرب ولترتوي بعد أن تأكل الرطب الذي يعد من أنفع الطعام للنفساء.

ويصور القرآن الكريم هذه المعجزة الكبرى في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾[3].

ويحس الطفل حال أمه المضطربة، وهي تفكر فيما تقوله للناس عندما تحمله إليهم، فيدلها على المخرج ويخرجها من الحرج ويأمرها بأن تقول لمن تراه من البشر أنها نذرت للرحمٰن صوماً ولن تكلم اليوم إنسيا مهما كان، وحينئذ سيتولى هو عنها مهمة الرد فيفحم الجميع

---

(١) سورة مريم، الآية: ٢٣.

(٢) سورة مريم، الآية: ٢٥.

(٣) سورة مريم، الآيات: ٢٤ ـ ٢٦.

بمعجـزته الـكبرى، ويريهم قدر مريم العذراء ابنة عمران وأم عيسى عليه السلام.

وتهدأ مريم بالاً ويستريح خاطرها عندما وجدت حلاً رائعاً لمواجهة مشكلتها مع الناس، ويصور لنا القرآن هذا الحدث العظيم في قول الحق عز وجل: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

لقد استيقنت مريم أن قدرها عند الله عظيم، بعد أن هيأ لها الحل الناجع بمعجزة فريدة، فارتاحت من كل آلامها النفسية والجسدية بعد أن تقوّت بالرطب حتى تقوى على مواجهة الناس، ويرفع عنها الحرج فيأمرها بالصوم عن الكلام، والإشارة إلى مولودها الذي أنطقه الله ليخرس الألسن وليشهد الناس أن الله على كل شيء قدير.

وأمسك عيسى عليه السلام عن الكلام بعد أن تكلم مع الناس ليحمي أمّه من الزور والبهتان.. ثم هاجرت مريم بمولودها إلى مصر، وهناك تحملت المشاق في تربيته وتنشئته وتعليمه، وما أن بلغ الثالثة عشر من عمره أمرهما الله بالعودة إلى بيت إيليا، حيث أقام عيسى عليه السلام حتى كلفه الله بالرسالة وأنزل عليه الإنجيل وعلمه التوراة، وأيده بالمعجزات الخارقة التي لا يملك من يراها إلا أن يشهد بأنه لا إله إلا الله وأن عيسى عليه السلام رسول الله.

وببلوغ عيسى هذا الحد من التكريم والتبجيل حيث أصبح نبياً

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٢٧ ـ ٣٣.

مرسلاً، تكون رسالة مريم ابنة عمران قد اكتملت وتكون البشرى التي زفتها إليها الملائكة قد تحققت فكانت بحق نموذجاً حياً للمؤمنين الراكعين الساجدين، العاكفين الصابرين، الذين كانت حياتهم كلها لله، فأحسن الله إليهم، ومكّنَهم من تمام رسالتهم.

وظهرت رسالة الإسلام على يد نبي الله عيسى متممة لما جاء به موسى، واستمرت حتى بعث الله محمداً ﷺ خاتماً للنبيين ليتم ما بدأ به عيسى ويكون الدين كله لله[1].

(١) أنظر البداية والنهاية لابن كثير وتاريخ الأمم والملوك للطبري وتفسير ابن كثير وتاريخ الطبري.

خديجة بنت خـويلد
رضي الله عنهـا
[أم المؤمنين]

ولدت من بيت مجد وسؤدد، فنشأت على التخلق بالأخلاق الحميدة، واتصفت بالحزم والعقل والعفة حتى دعاها قومها في الجاهلية الطاهرة، وكانت خديجة تاجرة ذات مال تستأجر الرجال في مالها وتدفع لهم المال مضاربة فيكون عيرها كعامة عير قريش، وبلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدقه وعظم أمانته وكرم أخلاقه.

قال أبو طالب لابن أخيه ﷺ أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مادة وتجارة، وهذه خديجة تبعث رجالاً من قومك يتجرون في مالها، ويصيبون منافع، فلو جئتها لفضّلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك.

فبعثت خديجة إليه ﷺ، فعرضت عليه أن يخرج من مال لها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يُدعى ميسرة، فقبل رسول الله ﷺ ذلك وخرج من مالها ومعه غلامها ميسرة حتى قدم الشام فباع سلعته التي خرج بها واشترى ما أراده، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة، فربحت تجارته ضعف ما كانت تربح فأضعفت لرسول الله ﷺ ضعف ما سمَّت.

ولما أخبرها غلامها ميسرة مما رأى من أخلاقه ﷺ بعثت إليه وقالت له: يا ابن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، فذكر رسول الله ﷺ ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب وذهب إلى

خويلد بن أسد فخطبها إليه، فقال: هو الفحل لا يُقْدَع أنفه[1]، فتزوجها رسول الله ﷺ ولها من العمر أربعون سنة، فكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت، وولدت له ﷺ القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة.

ومر على الزواج السعيد خمسة عشر عاماً بلغ محمد ﷺ بعدها الأربعين من عمره، بلغ أشده، وازداد نفوره من مجتمع الضلالة والجهالة، وأصبح أكثر ميلاً إلى العزلة والانطواء والتفكر في ملكوت السمٰوات والأرض، ووجد في غار حراء مباءة له وأمناً لنفسه ووجد في خديجة، الصديق الرفيق الذي أعانه على الخلوة إلى نفسه واللجوء إلى غاره، يتحنث ويتعبد، ويرتقب من ربه الهدى ويلتمس النور.

وجاءه الناموس الذي كان ينزل على موسى وعيسى بفاتحة الوحي الإلهي القدسي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾[2].

وبدأت أولى الحقائق الإلهية تنكشف للرسول المختار لهداية البشرية الضالة الحائرة... ولكن محمداً، من هول الموقف وجلال اللحظة، وروعة الدرس الأول الذي ألقاه جبريل عليه بعد أن غطه ثلاثاً، عاد إلى بيته مرتعداً مرتجفاً، ودخل على زوجه خديجة وقال لها وهو مضطرب: «زمّلوني... زمّلوني».

وأحاطته خديجة، الزوجة الحانية الرؤوف ببرّها الدافق، فشعر ببرد الراحة، وهدأت روعته، وراحت تسأله ما الذي به؟ فقال لخديجة وأخبرها بالخبر: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت تواسيه وتطمئنه: «يا ابن العم.. والله لن يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق».

---

(١) لا يقدع أنفه: كناية عن الكرم.
(٢) سورة العلق، الآية: ١.

ثم انطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد، وهو ابن عم خديجة، وكان إمرأً قد تنصر في الجاهلية، ويعلم بما احتوته كتب النصرانية من أخبار ونبوءات، فروت له القصة واستمع إليها ورقة، واستمع إلى محمد ﷺ أيضاً يتحدث بقصته، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى وعيسى من قبل، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال له رسول الله ﷺ: «أو مخرجيَّ هم؟» قال: نعم، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

وجاء الناموس الأعظم مرة أخرى إلى محمد ﷺ لتكليفه بأن ينهض برسالة الله إلى الخلق، رسالة الإيمان به وحده، وعبادته وحده، ونبذ ما يعبد من دونه باطلاً وزوراً من أصنام وأوثان.

ويستمع محمد ﷺ، ويهتز فؤاده، ويتصبب منه العرق وهو يستمع إلى جبريل ينقل إليه كلام ربه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾[1].

وظلت (خديجة) هي الزوجة المثالية التي ترعى محمداً في كل ما يلمُّ به من أحداث، وما يكلف به من مهمات، ترفق به وتواسيه وتعينه، قبل أن يبعث رسولاً، وبعد أن أرسل، فآمنت به وصدقته ونصرته حتى قال لعائشة يوماً وقد أصابتها عادة النساء في الغيرة حين يذكرها الرسول الزوج الوفي وعندما يكرم صديقاتها، حيث قالت عائشة له ﷺ: «ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها، فغضب رسول الله ﷺ حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال لعائشة: «**والله ما أبدلني الله خيراً منها، لقد آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بما لها يوم حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء**» هكذا كانت خديجة زوجة

---

(١) سورة المدثر، الآيات: ١ ـ ٧.

الرسول الوفية، التي أقرأها جبريل عليه السلام، سلام ربها لها، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

خديجة... التي قال عنها زوجها الصادق الأمين، أفضل خلق الله وأكرم رسله: «**إنها من أفضل نساء أهل الجنة مع فاطمة بنت محمد، ومريم إبنة عمران، وآسية امرأة فرعون**».

وفي رواية: «خير نساء العالمين أربعة... وخديجة بنت خويلد» وتوفيت خديجة أم المؤمنين ساعد الرسول ﷺ الأيمن في بث دعوة الإسلام ونشر تعاليمه سنة ثلاث قبل الهجرة بمكة، ولها من العمر خمس وستون سنة، ولما حضرتها الوفاة دخل عليها النبي ﷺ فقال: «**تكرهين ما أرى منك وقد جعل الله في الكره خيراً**»... وعند دفنها نزل رسول الله ﷺ في حفرتها وأدخلها القبر بيده، فكانت وفاتها مصيبة عظيمة تبعتها مصائب وكوارث تحملها النبي ﷺ برباطة جأش وصبر على المكاره ورضاء من الحق عز وجل.

إفتقد الرسول ﷺ يوم وفاتها الشريكة الحبيبة، والزوجة المثلى، والرفيق الناصر، والصديق المواسي بالنفس والمال... وكانت سيرتها رضي الله عنها وما تزال لكل زوجة: المدرسة، والقدوة، والمثال[1].

---

(١) من كتابي: «نساء فاضلات»، عبد البديع صقر، «كرائم النساء»، أحمد محمد جمال.

فاطمة بنت محمد بن عبد الله ﷺ

[سيدة نساء العالمين]

بِضْعَةُ أبيها، بنت سيد الخلق رسول الله ﷺ وأمها خديجة بنت خويلد، ذات النسب العريق والدين الوافر... نشأت فاطمة شديدة الاعتزاز بأبيها، قوية الإرادة فيما تريد، وما لا تريد، مفطورة على التدين وحسبها ما ورثته من أبيها خاتم الأنبياء، الذي قال عنها: **«رضاء فاطمة من رضائي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبَّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني»**[١].

وكان زواجها من عليّ بن أبـي طالب رضي الله عنه بأمر من الله، كما جاء في خطبة رسول الله ﷺ حيث قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: **«إن الله أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ، وأشهدكم أني زوجت فاطمة من عليّ، على أربعمائة مثقال فضة، إن رَضِيَ بذلك، على السنة القائمة والفريضة الواجبة فقال عليّ: رضيت يا رسول الله، وخرَّ ساجداً شاكراً لله، فلما رفع رأسه، قال رسول الله ﷺ: بارك الله لكما وعليكما، وأسعد جدكما، وأخرج منكما الكثير الطيب»**[٢].

وزفت فاطمة إلى عليّ رضي الله عنه... وكان زفافاً مباركاً، وجمع الله شملهما، وبارك لهما، وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح

---

(١) وفي صحيح مسلم بشرح النووي: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها». ج ٣ ص ١٦.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٦.

الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة. وآوى الزوجان إلى ظل البيت الجديد على نحو من الحياة في بيت أبيها، عيشة كفاف، وخدمة يتعاون عليها الزوجان الفقيران فقد ضاقت يد عليّ عن أجرة خادم، وجاءت فاطمة مرة إلى الرسول ﷺ تطلب خادماً من الفيىء، فردّها وعلمها دعوات تدعو بها، وتستعين بالله على خدمة البيت وتربية الولد ورعاية الزوج، وقال لها موصياً ومرشداً: «**يا فاطمة إصبري... إن خير النساء التي نفعت أهلها**».

... صدقت يا رسول الله...

ورزق الأبوان الفقيران ذرية من البنين والبنات... وقدما للإنسانية خيرة شباب أهل الجنة: الحسن والحسين رضوان الله عليهما، كما رزقا محسن وزينب وأم كلثوم.

زار رسول الله ﷺ ابنته فاطمة يوماً فوجدها تطحن بالرّحا وعليها كساء من وبر الإبل، فبكى وقال: «**تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة**».

وزارها مرة أخرى وهي مريضة، فقال لها: «**كيف تجدينك يا بنية؟**» فقالت: إني لوجعة، وإنه ليزيدني أنّي مَا لِي طعام آكله، ويبكي صلوات الله وسلامه عليه لمشهد ابنته المريضة الجائعة، ويقول لها: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين؟!!**»

سمعت فاطمة القرآن الكريم من فم أبيها ﷺ، ومن زوجها الإمام عليّ، وصلّت به، ووعت أحكام فرائضه وفهمت ـ في تربيتها ـ كل ما فهمته فتاة عربية أصيلة العرق والنسب، وزادت على ذلك ما هيأته لها العناية الإلهية من نشأة في حجرة النبوة الهادية، والأبوة العصماء.

وصدقت عائشة رضي الله عنها فيما قالت: «ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها».

وكانت فاطمة رضي الله عنها أشبه الناس بأبيها في مشيتها

وحديثها، وكلامها... قالت عائشة: «ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله من فاطمة».

كانت رضي الله عنها صابرة ديّنة، خيرة قانعة شاكرة وقد غضب لها النبي ﷺ لما بلغه أن أبا الحسن هَمَّ بما رآه سائغاً من خطبة بنت أبي جهل. فقال: «**والله لا تجتمع بنت نبي الله وبنت عدو الله، وإنما فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها**»[1] فترك عليٌّ الخطبة رعاية لها، فما تزوج عليها حتى توفيت.

وكان رسول الله ﷺ يأتي باب عليّ وفاطمة كل يوم عند صلاة الفجر ويقول: «**السلام عليكم أهل البيت، ثم ينادي: الصلاة... الصلاة... الصلاة...**» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[2].

وكان ﷺ إذا قدِم من سفر، بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم ثنَّى، «**بفاطمة**» ثم يأتي بعد ذلك يذهب إلى بيوت أزواجه أمهات المؤمنين.

حتى كان يوم، وبينما كانت فاطمة في بيتها، وبين أولادها، إذا برسولٍ من أبيها يقول: إن رسول الله ﷺ يريد فاطمة، فخرجت مسرعة إلى بيت أبيها... ولنترك عائشة رضي الله عنها تروي لنا ما حدث:

تقول عائشة: كنَّ أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رحَّب بها فقال: «**مرحباً يا ابنتي**»، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سَارها[3] فبكت بكاء شديداً، فلما رأى جزعها سَارَّها الثانية فضحكت، فقلت لها: خصَّك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسِّرار ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ؟

---

(١) رواه الجماعة وأحمد في مسنده.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٣) سارها: أي اختصها بخبر دون غيرها.

قالت: ما كنت أفشي على رسول الله سرَّه[1].

قالت عائشة: فلما توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق، لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ؟ فقالت: «أما الآن... فنعم... أما حين سارّني في المرة الأولى، فأخبرني: «**أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وأنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك**، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارَّني الثانية، فقال: **يا فاطمة أمَا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟** قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت[2]. ثم انصرفت فاطمة إلى دارها، وقلبها لا يطاوعها على فراق أبيها...

ومرت الأيام بطيئة، وذهبت لعيادته فرأته ﷺ يتحامل على نفسه ويتجمل بالصبر، ويدور على نسائه كمألوف عادته، واستأذن زوجاته أن يمرض في بيت عائشة.

ولم يطاوع قلب فاطمة أن تفارق أباها وهو في هذه الحالة وأقامت بجواره، تمرضه، وتعنى بشؤونه، وتتكلف الصبر وتدعو الله خالصة مؤمنة أن يخفف عن أبيها مما هو فيه.

ورآها أبوها وأشفق عليها وقال لها: «**إني مقبوض في مرضي هذا**»، فبكت، وأخبرها: أنها أول أهله لحوقا به. وكاد صبرها أن ينفد والوجع يشتد برسول الله ﷺ ورأته يأخذ الماء بيده ويجعله على رأسه وهو يقول: «**واكرباه**» فقالت بصوت يقطع الأفئدة ويدمي القلوب: «واكربي لكربك يا أبتاه». فرد عليها رسول الله ﷺ وهو يرنو إليها في عطف وحنو: «**لا كرب على أبيك بعد اليوم**».

وبلغ الكتاب أجله، ولحق محمد ﷺ بالرفيق الأعلى، في مقعد

---

(١) رواه الإمام مسلم.

(٢) الشطر الثاني من الرواية: رواه البخاري ومسلم.

صدق عند مليك مقتدر.

فاهتزت فاطمة من داخلها وبكت وقالت: يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، يا أبتاه... أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه. وقالت بعد دفنه: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ.

تلكم هي فاطمة الزهراء، ربيبة بيت النبوة كانت أمًّا فاضلة ربت فأحسنت التربية وكانت زوجة مطيعة صابرة.

قال ابن عبد البر: «روت عن أبيها، وروى عنها ابنها الحسين وعائشة وأم سلمة، وأنس بن مالك، وغيرهم وروايتها في الكتب الستة».

واشتد المرض على الزهراء رضي الله عنها، وشكت إلى أسماء بنت عميس نحول جسمها، وقالت: أتستطيعين أن تواريني بشيء؟ قالت: إني رأيت الحبشة يعملون السرير للمرأة ويشدون النعش بقوائم السرير، فأمرتْهُم بذلك، وعمل لها نعش قبل وفاتها، فنظرت إليه وقالت: «سترتموني ستركم الله».

وقالت قبيل وفاتها: يا أمَهْ أسكبي لي غسلاً، فسكبتها فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل، ثم قالت: «إيتيني بثيابي الجدد»، فأتتها بها فلبستها ثم قالت: يا أمَهْ إنّي مقبوضة الساعة، وقد اغتسلت فلا يكشفن لي أحد كنفا[1].

وتوفيت رحمها الله ورضي عنها، بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر أو نحوها وهي ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها[2] إلى جنة الخلد يا حبيبة رسول الله، ويا ابنة أكرم الخلق على الله...[3].

---

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٧. (كنفا: أي ستراً وحجاباً).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج ٤ ص ١٨٩٩).

(٣) من الكتب الاتية بتصرف وتلخيص: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «كرائم النساء» أحمد محمد جمال. «نساء أنزل الله فيهن قرآنا» د. عبد الرحمٰن عميرة.

الفصـل الثانــي:

أمهـات الأنبيـاء

(عليهن السلام)

* السيدة: امنة بنت وهب (سيدة الأمهات) أم محمد ﷺ.
* السيدة: هاجر رضي الله عنها (أم إسماعيل).
* السيدة: أم موسى رضي الله عنها (كما سمّاها القرآن).
* السيدة: مريم (أم عيسى) عليها السلام

[تقدم الحديث عنها].

آمنة بنت وهب

[سيدة الأمهات أم محمد ﷺ]

«إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد»[1].

تفتح صباها في بيئة طيبة، ومنبت كريم، فاجتمع لها من أصالة النسب، ورفعة الحسب، ما تفخر به في المجتمع المكيّ الذي يعتز بكرم الأصول ومجد الأعراق.

يلتقي نسبها برسول الله ﷺ في الجد الخامس من جهة أبيها، وفي الجد السادس من جهة أمها.

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: **«لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفى مهذباً، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»**[2].

فآمنة بنت وهب إذن هي خير نساء قريش حين أراد الله لها أن تتزوج بعبد الله بن عبد المطلب، لينقل من صلبه الطيب إلى رحمها الطاهر، نور النبوة، فيضيء العالم بأسره.

عرفت آمنة في طفولتها وحداثتها ابن العم عبد الله بن عبد المطلب قبل أن ينضج صباها ويحجبها خدرها، إذ كان البيت الهاشمي أقرب الأسر جميعاً إلى آل زهرة.

---

(١) «حديث شريف» رواه ابن ماجه.

(٢) من حديث شريف رواه ابن عباس رضي الله عنهما. أنظر: تراجم سيدات بيت النبوة: د. بنت الشاطىء ص (٨٥، ٨٦).

ولما لاحت بواكير نضجها «كانت أفضل فتاة من قريش حسباً وموضعاً»[١] في الوقت الذي تجري فيه خطوات عبد الله بن عبد المطلب نحو نضرة الشباب وبهائها.

ويوم افتداء عبد الله من الذبح ـ لحكمة يعلمها رب العالمين ـ بأغلى فدية عرفها العرب مائة من الإبل، انصرف جدّه عبد المطلب مهرولاً آخذاً، بيد ابنه عبد الله حتى أتى به إلى دار وهب بن عبد مناف بن زهرة، وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً، فزوجه ابنته آمنة.

وزفت آمنة إلى عبد الله، وسط ابتهاج الأهل والأصحاب، ثم آب الضيوف إلى منازلهم، وهجع الكون وسكنت الدنيا، وخرج من صلب عبد الله النور الذي كان معه، . . .

حتى إذا دنا الصبح، استيقظت آمنة وأقبلت نحو زوجها تحدثه عن رؤياها: رأت كأن شعاعاً من النور ينبثق من كيانها اللطيف فيضيء الدنيا من حولها حتى لكأنها ترى به قصور بصرى من أرض الشام، وسمعت هاتفاً يهتف بها: «إنك قد حملت بسيد هذه الأمة»[٢].

وعاشت آمنة مع زوجها مدة وجيزة لم تبلغ الشهرين، حتى حان موعد رحلة عبد الله إلى الشام، فودعته آمنة، وهي لا تدري أنه وداع لا لقاء بعده، فقد أدى عبد الله الرسالة التي خلقه الله وافتداه من أجلها، وهي أن يودَع هذا النور في الرحم الطاهر. ففي طريق عودته من الشام ألمَّت به وعكة، فتخلَّف عن قافلة قريش في دار أخواله بيثرب، وما لبث أن انتقل إلى جوار ربه، ودفن هناك في ثرى يثرب، وترملت آمنة زهرة قريش وما يزال في يديها خضاب العرس.

---

(١) سيرة ابن هشام: (١/ ١٥٦).
(٢) المصدر السابق: (١/ ١٦٦).

وحزنت آمنة حزناً شديداً، وبينما هي في حالة من الإعياء والحزن، إذ أحسَّت خفقة حياة جديدة في أعماقها، فأشرق وجهها بنور الإلهام، وكأنها عرفت السر الذي كان وراء فداء عبد الله، والموت منه وشيك، فأنزل الله سكينته عليها، فطوت أحزانها وأشجانها، فكانت أول من بشّر بنور المصطفى ﷺ كائناً حياً بين أحشائها، بينما تموج في أرجاء الجزيرة العربية بشارات الرهبان والأحبار، وتأكيدات الحنفاء من قريش بقرب ظهور نبي جديد لهذه الأمة، يكون مولده في مكة، يدعو إلى عبادة الله وحده، على طريق أبيه إبراهيم عليه السلام.

وانفردت آمنة ليقين يملأ جوانبها، طوال فترة الحمل من أنه سيكون لجنينها شأن عظيم، فكان ذلك أُنْسٌ لوحشتها وتسرية عنها، وتيسير لمتاعب الحمل الأولى.

وما أن قرب حمل آمنة من أن يتم أجله حتى غزا أبرهة الطاغية مكة بجيش لا طاقة للعرب به، يريد هدم البيت العتيق، وقد رأى عبد المطلب أن يتحرز بأهل مكة في شعف الجبال والشعاب قائلاً قولته المشهورة: «للبيت ربّ يحميه».

لكن آمنة، كانت مطمئنة بوحي من ربها، أن الله مانع بيته ومهلك عدوه، إكراماً لقرب مولد نبيه، فعزمت على البقاء في جوار الحرم الشريف، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا، وما زالت هي على ذلك حتى زفت إليها قريش البشرى، بأن الله سلّط نقمته على أصحاب الفيل: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾(١).

وبعد يوم الفيل بخمسين يوماً، وفي أوان السَّحَر من ليلة الاثنين لاثنتي عشر خلت من ربيع الأول، جاءها المخاض، وهي وحيدة في

---

(١) سورة الفيل، الآيات: ٣ ـ ٥.

منزلها ليس معها أحد سوى جاريتها، وفي رواية... أن أم عثمان بن أبـي العاص الثقفي كانت كذلك معها[1]، فأحست ما يشبه الخوف، لكنها ما لبثت أن شعرت بنور يغمر دنياها، وتجلدت للحظة الحاسمة... وما كاد نور الفجر ينبثق، حتى كانت قد وضعت وليدها كما تضع كل أنثى من البشر.

تقول أم عثمان بن أبـي العاص: «فما من شيء أنظر إليه من البيت، إلاّ نوَّر، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو مني حتى إني لأقول: لتقعنَّ عليَّ»[2].

وما أن بلغت البشرى عبد المطلب حتى أقبل مسرعاً، وانحنى عليه يملأ منه عينيه، وحمل حفيده بين ذراعيه في رفق ورقة، ودخل به الكعبة المشرفة، شاكراً حامداً لربه، وأسماه محمداً.

ولقد انبعثت ليلة مولد المصطفى ﷺ أنوار عظيمة، أضاءت السماء وارتجت السمٰوات والأرض لمولده فغاصت مياه بُحْيرة سادى وجفَّت جوانبها، بينما فاضت مياه دجلة، واهتز عرش كسرى وسقط كثير من أبراجه، وانطفأت نيران «زرادشت» المقدسة التي ظلت مشتعلة منذ آلاف السنين دون توقف وانكفأت جميع أصنام العالم على الأرض تعظيماً وتكريماً لمولد سيد الخلق ﷺ.

وأقبلت سيدة الأمهات، أم اليتيم، تغمره بحنانها الدافق وترضعه ريثما تفد المراضع من البادية، وتلقفته أم أيمن مربيته الأولى، ثم استرضع جده امرأة من بني سعد بن بكر تدعى حليمة ابنة أبـي ذؤيب «حليمة السعدية»، وهكذا نما الرضيع وترعرع في صميم البادية...

---

(١) هي الصحابية: فاطمة بنت عبد الله رضي الله عنهما: «الاستيعاب» لابن عبد البر رقم (٤٠٥٩).

(٢) رواه ابن عبد البر في ترجمتها «بالاستيعاب في معرفة الأصحاب».

وآن فطامه، واحتضنته أمه المشتاقة، وتشبثت به في حضنها، بينما طلبت منها حليمة أن تعود بإبنها ثانية إلى جو البادية المليء بالصحة والنقاء. . .

وودعت آمنة ولدها للمرة الثانية، ورجعت به حليمة إلى مراعي بني سعد، وهي فرحة مبتهجة، إذ كانت وقومها «شديدة الحرص على مكثه فيهم، لما رأوه من بركته»[1].

ولم تمض بضعة أشهر حتى عادت به حليمة من تلقاء نفسها، وهذه العودة السريعة كان وراءها سر كبير، ولنترك حليمة تروي لنا سبب عودتها فيما رُوِيَ عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: «فوالله بعد مقدمنا بأشهر مع أخيه ـ من الرضاعة ـ لفي بَهْم[2] لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه، فهما يسوِّطانه[3]، فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً ممتقعاً وجهه، فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: ما لك يا بنيّ؟ قال: «جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا شيئاً لا أدري ما هو. . .».

فخشينا أن يكون الغلام قد أصيب، فاحتملناه إليك، والله إنا لا نرده إلا على جدع أنفنا»[4].

ولم تبد أي بادرة خوف أو قلق على آمنة وهي تصغي إلى حليمة، وسألتها: أفتخوفت عليه الشيطان؟ فأجابت حليمة: نعم، فقالت آمنة: كلا والله، ما للشيطان عليه من سبيل وإن لبنيَّ لشأنا. «فوالله ما رأيت

---

(١) سيرة ابن هشام: (١/ ١٧٣).

(٢) البهم: الصفان من الغنم واحدته بهمة.

(٣) سيرة ابن هشام: (١/ ١٧٤)، وعيون الأثر في فنون المغازي والسير (١/ ٣٤) وسطن اللبن أو الدم: أي إذا ضرب بعضه ببعض.

(٤) المصدرين السابقين. إلا على جدع انفنا: أي على غير رغبة منا.

من حمل قط كان أخف من حمله ولا أيسر منه، وقع حين ولدته وإنه لواضع يديه على الأرض رافع رأسه إلى السماء».

بذلت آمنة الأم غاية ما يرجى من عناية ورعاية لولدها، وأثمرت العناية الإلهية ثمرتها، فبدت على «محمد ﷺ» بوادر النضج المبكر وهو بعد في سن السادسة، فرأت آمنة أنه قد آن الأوان لتقوم وابنها برحلة إلى يثرب كي يزورا قبر الحبيب الثاوي هناك ولتعرّفه على أخوال أبيه المقيمين بيثرب.

وشغلت أياماً بتجهيز راحلتها وإعداد مؤونة الطريق وانضمت وابنها ومعهما الجارية الوفية «بركة أم أيمن»[1] إلى أول قافلة تخرج من مكة متجهة نحو الشمال... فألقت نظرة وداع على دار عرسها، ثم عرجت على الحرم فطوّفت به داعية، وتحرك الركب، حثيثاً، وآمنة تسلم نفسها لذكريات زوجها عبد الله، وتضم ولدها في حنو فياض.. وما أن وصل الركب إلى يثرب حتى ذهبت آمنة وولدها إلى أخوال أبيه «بني عدي بن النجار» ثم أقبلت على ولدها تحدثه عن أبيه وذلك البيت الذي مرض فيه وذهبت به ليزورا القبر الذي ضم رفات أبيه...

وبعد أن أمضت في يثرب شهراً كاملاً أدت فيه حق الزوج الراحل من زيارة قبره وتلقين ولده تاريخ حياته.. عزمت على العودة إلى مكة.

وبينما هم في طريق العودة، إذ شعرت آمنة بضعف طارىء، مكّن له من جسمها، وكأنها أحست بنهاية الأجل المحتوم فانهمرت دموعها الساخنة، وهي تعانق وحيدها، وهو يمد يده الحانية ليمسح هذه الدموع الغالية التي تغمره بكل مشاعر الحب والحنان، وفجأة تراخت ذراعاها عنه، فحدّق فيها فَراعَهُ أن بريق عينيها يوشك أن ينطفىء، وأن صوتها يتحول تدريجياً إلى حشرجة هامسة بكلمات الوداع، حتى إذا ذاب

---

(١) انظر طبقات ابن سعد.

الصوت في سكون العدم، التقطت أنفاسها اللاهثة، وولدها يتضرع إليها أن تنظر إليه، وأن تكلمه، لكنها انتقلت إلى جوار ربها بعد أن أدت رسالتها، في وضع وليدها المبارك، وحضانته حتى سن السادسة. . .

فهي لم تخلق إلاّ لأداء هذه الرسالة وحدها. . .

ويا لها من رسالة. . . أهدت للبشرية سيد خلقها، وخاتم أنبيائها. . الرحمة المهداة، والنعمة المسداة إلى العالمين صلى الله عليه وعلى آله وسلم[1]. . .

(١) «تراجم سيدات النبوة»: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) «بتلخيص وتصرف».

هــاجــر رضي الله عنها

[أم إسماعيل عليه السلام]

هاجر. . . أمَةٌ ضعيفة لا حول لها ولا طول، جاءت بها السيدة سارة، زوجة إبراهيم عليه السلام، من مصر إلى أرض كنعان.

هي أم إسماعيل، وجدّة محمد عليه الصلاة والسلام وأم المسلمين بعد حواء.

وإن اختيار الله تعالى «هاجر» زوجة لإبراهيم له قصة خالدة ما بقيت السمٰوات والأرض. فهي تحكي لنا قصة الحب الخالص من كل شوائب الأرض وأدارنها. . .

ونادى جبريل عليه السلام، من قِبَل الله سبحانه، إبراهيم ليستمع إلى زوجته «سارة» في شأن هاجر، السمراء، الساجدة، العابدة، الناسكة، المحبة التقية.

وأفل الشيطان، وخنس يضرب وجهه ويمزق قلبه فقد عقدت السماء زواج إبراهيم الخليل بهاجر هدية سارة إليه.

وعاشت هاجر في بيت النبوة، زوجة معطاءة مُحبّة، وأختاً أليفة وَدُودة. . .

وولدت إسماعيل، وشاءت إرادة الله، جلّت حكمته، أن تحمل رضيعها إلى البيت الحرام، ليخلدها الله بذكر خطواتها الأولى عند أول بيت وضع للناس في مكة المكرمة.

وترك إبراهيم «هاجر» وولدها، ومكة وقتذاك مقفرة خلاء، وترك

معهما تمر وسقاء، وهمّ بالرجوع من حيث جاء. وتضرعت إليه هاجر دون جدوى، وانصرف لا يلوي على شيء، وأخبرها أنه إنما يمتثل لأمر الله، فقالت هاجر في استسلام خاشع: «إذن فالله لا يضيعنا»[1].

وآنذاك رفع وجهه إلى السماء يبتهل إلى الله قائلاً: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾[2].

واستأنف مسيره عائداً إلى زوجه «سارة» في أرض كنعان.

نفدت مؤونة هاجر، وكان عليها أن تبحث عن الماء في هذه الصحراء القاحلة، ونظرت فإذا «الصفا» أدنى الجبال إلى الأرض، فاعتلته، لعلها تجد في الوادي من يعينها في الحصول على الماء، لتروي به ظمأ ولدها الصغير، فلم تجد إلا الوحشة والصمت الرهيب.. فهرولت تسعى قاصدة جبل المروة وصعدت عليه علّها ترى أثراً من حياة، وجلّ همها الحصول على الماء لتروي ظمأ ولدها الصغير.. الذي يمزق قلبها ويفري كبدها...

وأجهدها السعي بين الصفا والمروة شوطاً بعد شوط بحثاً عن الماء، حتى نال منها التعب والإعياء، فتهاوت على الأرض مستسلمة لقضاء الله فيها وفي ولدها...

وأمسك الكون أنفاسه، ولم يبق من صوت سوى لهاث المحتضر وأنين أمّه، يتردد صداهما في البلقع القفر وبينما الحال كذلك، إذ مرت رفقة من جُرْهُم مقبلة من طريق كداء، تريد الشام، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طيراً فقالوا: إن هذا الطير لحائمٌ على ماء، وأرسلوا دليلهم، فعاد

---

(١) «الروض الأنف»، لأبي القاسم السهيلي: (١/ ١٣٥).
(٢) سورة إبراهيم، الآيتان: ٣٧ ـ ٣٨.

ومضى بهم إلى حيث كانت هاجر وولدها عند النبع المبارك، فقالوا لها: إن شئت كنا معك فآنسناك والماء ماؤك، فأذنت لهم، فنزلوا معها...

وكانت «زمزم» فجّرها ربّ العالمين وأرحم الراحيمن تخليداً لهاجر وتطييباً لخاطرها، وتحول الوادي الأجرد الموحش إلى واد مؤنس مليء بالخيرات.

وقدّس الله مسعى هاجر بين الصفا والمروة، فصار شعيرة من شعائر المسلمين، يسعون بينهما، ويتوجهون كلّما عَلَوْ أحدهما إلى الله يدعونه أن ينزل عليهم من خيراته ورحماته وبركاته ما أنزله على هاجر، فأحياها بعد موات وأغناها بعد فقر وجعل من ذريتها سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ ولقد بارك الله لها في ولدها إسماعيل، فجعله نبياً ومن الصالحين وكرمه بالاشتراك مع أبيه إبراهيم في رفع القواعد من البيت.

وفي جوار البيت العتيق شب إسماعيل، فلما بلغ مبلغ السعيِ جاءه أبوه فقص عليه رؤياه، فاستجاب إسماعيل لأمر ربه امتثالاً وطاعة، وقال لأبيه أن يفعل ما أمره الله به...

إن هذا لهو البلاء المبين، وبينما يَهُمُّ إبراهيم بذبح ولده إذْ لاَحَ له كبش عظيم يذبحه فدية لولده الصابر، وكذلك يجزي الله المحسنين الطائعين...

ويصور لنا القرآن الكريم هذا الحدث في أروع بيان، في قوله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٠١ ـ ١١٠.

ويأمر الله تعالى إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج، وقد استجاب الله عز وجل لدعائهما فبعث في ذريتهما من يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، بعث في ذريتهما رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام، صفوة الصفوة من صريح ولد «إسماعيل بن إبراهيم» من السيدة هاجر أم العرب العدنانية، التي دخلت التاريخ الديني بهموم أمومتها.

وتلك لعمري هي ذروة سنام الخير للبشرية كافة قيَّض الله لها إبراهيم وهاجر وولدهما إسماعيل، وأراد لهاجر أن تكون ذروة سنام هذا الأمر، فمهمتها كانت أجلّ المهمات فقد واجهت وحدها البقاء في الوادي حيث لا زرع فيه ولا ماء مع وليدها إسماعيل منتصرة على كل عواطف الأمومة الجياشة، متوكلة على ربها أصدق التوكل، مؤمنة أعمق الإيمان بأنه الرحمٰن الرحيم لن يتخلى عنها، مولية وجهها إليه تدعوه، فيستجيب لها، ويجمع من حولها هي ووليدها الناس، ليعمر الوادي ويبني البيت وتتحد مشاعر المسلمين في كل أنحاء الأرض حول هذا البيت العتيق[1].

---

(١) «تراجم سيدات بيت النبوة» د. عائشة عبد الرحمٰن (بنت الشاطىء) «بتلخيص وتصرف».

أمّ موسى
رضي الله عنها

استعبد فرعون «موسى» شعبه، واستخف قومه، وراح يسومهم سوء العذاب.

وقام فزعاً من نومه، ودعا الكهنة والسحرة والمنجمين، وسألهم تأويل رؤية رآها في منامه.. فقالوا له بعد أن قصَّ عليهم رؤياه: يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك على أرضك، ويبدّل دينك وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه[1].

فزاد فزعه واشتد غضبه، وأمر بقتل كل غلام يولد لبني إسرائيل.. وأعد لهذا الأمر جنده.

وولد «موسى» حينذاك خفية، فارتجفت أمه رعباً وجزعاً وأشفقت عليها القابلة ووعدتها بكتمان أمرها، واقتحم جنود فرعون بيت أم موسى عندما رأوا القابلة تخرج منه، لولا أن الله ألهَمَ أم موسى أن تلفّ وليدها في خرقة وتلقِهِ في التنور، وكاد الأمر أن ينكشف لولا أن الله سلّم...

وبدا واضحاً أن إخفاء الوليد غير مستطاع إلا إلى حين وبينما الأم حَيْرى لا تدري ماذا تصنع بفلذة كبدها إذ أوحى الله إليها: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾[2].

أنّى لأم أن تلق بوليدها في النهر تتقاذفه الأمواج إلى المجهول!!

---

(١) قصص الأنبياء.. للثعلبي ص (١٧٣، ١٧٤).

(٢) سورة طه، الآية: ٣٩.

ولكنه وحي السماء.. فاستجابت الأم المهمومة الوجلة واتخذت تابوتاً وجعلت فيه قطناً، ثم أرضعت وليدها وأرقدته في التابوت، وأحكمت عليه الغطاء وألقت به في النيل...

ووقفت الأم لا تقوى على شيء، وقلبها يعدو في أثر ذاك الذي مضى، حتى افتقدتها ابنتها فجاءت تلتمسها هناك فأخذتها في رفق عائدة بها إلى الدار.

وأنزل الله سكينته عليها: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠﴾[1].

وانتهى التابوت حيث قصر فرعون، فالتقطه آل فرعون وذهبوا بالوليد إلى «آسية» امرأة فرعون، وملأ الله قلبها حباً غامراً نحو هذا الطفل، وتطلب من فرعون ألاّ يقتله عسى أن ينفعهما أو يتخذاه ولداً.

فكان جواب فرعون لزوجه: قرة عين لك، أما أنا فلا حاجة لي فيه.

وقالت أم موسى لأخته: قُصِّيه وتتبَّعي أثره، فخرجت أخته مريم تلتمس أثر أخيها، فسارت على شاطىء النهر حتى قربت من قصر فرعون ورأت الجواري يلتمسْنَ المراضع لوليدٍ في القصر، هنالك وجدت مريم نفسها تدخل القصر وقالت لهم: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢﴾[2].

وبينما كانت أم موسى تجتر همومها في وحدتها خالية الذهن عن أسعد مفاجأة تخطر على قلب أم.

ويعيد الله موسى إلي أمه بعد أن أبى كل المراضع وصدق الله إذ يقول: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[3].

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٠.
(٢) سورة القصص، الآية: ١٢.
(٣) سورة طه، الآية: ٤٠.

ورَضَع الوليد حتى ارتوى، وارتوت أمّه وهي تضمه إلى صدرها بكل الحنان الفياض، وهي تكبت عاطفتها الظمأى وأشواق أمومتها كي لا يستريب القوم...

يقول الثعلبي:

وتذكرت أم موسى ما كان الله وعدها، وتعاسرت على امرأة فرعون، حينما طلبت منها أن تبقى ظئراً لوليدها في القصر، ولم تجد إمرأرة فرعون مفراً من إجابة الظئر إلى طلبها حرصاً على حياة الوليد، فأذنت لها فرجعت به إلى بيتها.

وفي ذلك يقول الحق جل وعلا: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾[1].

وهكذا نزل الوحي على أم موسى، وعهدت إليها السماء بالمهمة الجليلة، مهمة إنقاذ الوليد الموعود بإحدى الرسالات الكبرى من المذبحة التي لم ينج منها غلام لبني إسرائيل في ذلك العهد البعيد[2]...

مريم أم عيسى
عليها السلام

[تقدم الحديث عنها في خير نساء العالمين]

---

(١) سورة القصص، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.

(٢) «تراجم سيدات بيت النبوة» د. عائشة عبد الرحمٰن «بتلخيص وتصرف».

الفصل الثالث:

أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين

[رضي الله عنهن]

* السيدة: خديجة بنت خويلد رضي الله عنها [تقدم الحديث عنها في الفصل الأول].
* السيدة: سودة بنت زمعة رضي الله عنها.
* السيدة : عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها.
* السيدة: حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها.
* السيدة: زينب بنت خزيمة رضي الله عنها.
* السيدة: أم سلمة (بنت زاد الركب) رضي الله عنها.
* السيدة: زينب بنت جحش رضي الله عنها.
* السيدة: جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.
* السيدة: صفية بنت حُيَيّ رضي الله عنها.
* السيدة: رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة) رضي الله عنها.
* السيدة: مارية القبطية رضي الله عنها.
* السيدة: ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.

خديجة بنت خويلد
[أم المؤمنين]
[تقدم الحديث عنها
في خير نساء العالمين رضي الله عنها]

سَودة بنت زمعة

[المهاجرة أرملة المهاجر]

هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة خديجة، وكان قد توفي عنها زوجها ابن عمها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية وظلت سودة تقوم على بيت النبي ﷺ حتى جاءت «عائشة» فأفسحت لها «سودة» المكان الأول في البيت وحرصت جهدها على أن تتحرى مرضاتها وتسهر على راحتها.

ولما كبرت وعلمت مكان عائشة من رسول الله ﷺ، وبدا آخر الأمر لرسول الله ﷺ أن يسرحها سراحاً جميلاً حتى يعفيها من وضع أحسَّ أنه يؤذيها، فقال لها مترفقاً إنه يعزم على طلاقها فقالت سَوْدَة لرسول الله ﷺ: أمسكني، ووالله ما بـي على الأزواج من حرص، ولكني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجاً لك.. أبقني يا رسول الله وأهب ليلتي لعائشة وإني لا أريد ما تريد النساء.

فتأثر رسول الله ﷺ لهذا الموقف السمح الكريم، يأتي سَوْدَة ليسمعها كلمة الطلاق ـ وما أبغضها ـ فيكون جوابها هذا الإيثار النبيل تتحرى به مرضاة الزوج الكريم فأبقاها رسول الله ﷺ حتى توفي عنها.

وفي سَوْدَة نزلت آية الحجاب، إذ كان أزواج النبـي ﷺ يخرجن

بالليل لقضاء حاجتهن في الخلاء فكان عمر بن الخطاب يقول للنبي ﷺ: أحجب نساءك، فلم يكن رسول الله يفعل فخرجت سودة في ليلة وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر.. الآن قد عرفناك يا سَوْدة، حرصاً على أن ينزل الحجاب فأنزل الله الحجاب.

وكانت سودة من فواضل نساء عصرها، وذات أخلاق حميدة، قالت عائشة أم المؤمنين: ما من الناس أحد أحب إلى أن أكون في مِسْلاخِهِ[1] من سَوْدَة بنت زمعة...

وروت سودة عن رسول الله ﷺ خمسة أحاديث وروى عنها ابن عباس، ويحيى بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن سعد بن زرارة الأنصاري، وروى لها أبو داود والنسائي...

وتوفيت رضي الله عنها بالمدينة سنة ٥٤.. ولما توفيت سجد ابن عباس، فقيل له في ذلك، فقال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم آية فاسجدوا»، وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ﷺ..[2].

---

(١) في مسلاخه: أي في مثل هديها وطريقتها.

(٢) من «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «تراجم سيدات بيت النبوة» د. عائشة بنت الشاطىء (بنت الشاطىء) بتلخيص وتصرف.

عائشة بنت أبي بكر الصديق
رضي الله عنها
[المُعَلِّمة الأولى]

شبَّت عائشة وعاشت أحداث الدعوة الأولى مع أبيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فوعت على صغر سنها طبائع النفوس وسخائم الأفئدة وظلام البصيرة عند هؤلاء الناس الذين لا يؤمنون بالإله الواحد الأحد.

كانت رضي الله عنها حاملة لواء العلم والمعرفة عارفة بأحداث عصرها الذي عاشت فيه، خبيرة بشؤون بيتها وما يجب أن تقوم به، وقد نشأت في بيت أبيها الذي كان أعلم الناس بأنساب العرب، وفقهت أمور دينها وتعلمت مبادىء الإسلام في مدرسة الرسول ﷺ، وتلقت أصول الأدب والأخلاق على يد من أدَّبُه ربُّه فأحسن تأديبه، وكانت حياتها في بيت النبوة الذي نزل فيه الوحي ويتلى فيه القرآن آناء الليل وأطراف النهار، من أجل هذا كانت عائشة رضي الله عنها على قدر كبير بفقه الإسلام ومبادئه، ودراية بأنواع المعرفة وأبوابها. . .

قال الزهري: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل».

وقال أبو الضحى عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض، وقال عطاء بن رباح: كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة. . وقال هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة، وقال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه: ما أشكل علينا

أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها علماً فيه.

لم يُرْوَ في الصحيح عن أحد من الرجال أكثر مما رُوِيَ عنها من الأحاديث إلا أبـي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم، ولذلك يقول علماء الحديث: «إن عائشة رضي الله عنها تعد من رواة الحديث المكثرين...».

وكانت رضي الله عنها فصيحة اللسان، بليغة المقال إذا حدثت ملكت على الناس مسامعهم، وإذا تكلمت أخذت بمجامع القلوب، قال موسى بن طلحة: ما رأيت أحداً أفصح من عائشة وقال معاوية: «والله ما رأيت خطيباً قط أبلغ ولا أفصح من عائشة».

كانت حكيمة أخذت حكمتها من كتاب الله تعالى وبليغة أخذت بلاغتها من أدب الرسول ﷺ، وفصيحة لأنها عربية ونشأت بين بطاح مكة، ومؤثرة قد استقت من نبع الإسلام وتعلمت الكثير من آداب الرحمٰن.

كفاها مجداً أن يتنزل القرآن ببراءتها في حديث الإفك الآثم الذي خاض فيه المنافقون والحاقدون، ويتعبد به المسلمون ويتلونه ما بقي الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾[1].

وكفاها سعداً أن يسأل الرسول ﷺ: من أحب الناس إليك؟ فيجيب: «عائشة» ويعيد السائل سؤاله: إنما أقول من الرجال فيقول الرسول ﷺ: «أبوها».

قال رسول الله ﷺ لنسائه حين أدركتهن الغيرة منها: «**لا تؤذوني في عائشة فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها**»[2].

---

(١) سورة النور، الآية: ١١.

(٢) انظر البخاري (٥/ ١٥١، ١٥٢) و (٧/ ٨٤).

قالت عن نفسها: إني لأفخر على أزواج النبي ﷺ بأربع: ابتكرني ولم يبتكر غيري، ولم ينزل عليه القرآن منذ دخل عليَّ إلا في بيتي، ونزل بِعُذْري قرآن يتلى، وأتاه جبريل بصورتي قبل أن يملك عقدي..

وكان من محبة رسول الله ﷺ لعائشة أنه دعا لها فقال: «**اللهم اغفر لعائشة بنت أبي بكر مغفرة ظاهرة وباطنة، لا تغادر ذنباً ولا تكتسب بعدها خطيئة**».

وفرحت عائشة بهذه الدعوة المستجابة، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أيسرّك دعائي؟**» فقالت: وما لي لا يسرني دعاؤك فقال ﷺ: «**إنها لدعائي لأمتي في كل صلاة**».

وكانت عائشة رضي الله عنها تحب الرسول حباً لا يعادله حب، جاءها رسول الله ﷺ يوماً وقال لها: سأعرض عليك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي به حتى تشاوري أبويك، فقالت عائشة: وما هذا الأمر يا رسول الله؟ فتلى عليها النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[1].

فقالت عائشة: في أي ذلك تأمرني أن أشاور أبَوَيّ وقد أعلم والله أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقك، بل أريد الله ورسوله والدار الاخرة، فسُرّ النبي بذلك وأعجبه وقال: «**سأعرض على صواحبك ما عرضت عليك**» فكان النبي ﷺ يقول لهن كما قال لعائشة ثم يقول: «**قد اختارت عائشة الله ورسوله والدار الآخرة**».

وتوفي الرسول ﷺ بعد أن عاشت معه تشهد أمجاده وأفضاله،

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨ ـ ٢٩.

وتتلقى علمه وحكمته وهداه.

ثم عاشت بعده لتكون مرجعاً وثيقاً في حديث الرسول وسنته وسيرته، يروي عنها الرواة، وينقل عنها المحدثون، وبخاصة ما يتعلق بأحوال النساء.

وتوفيت رضي الله عنها في السادسة والستين من عمرها ولكنها ظلت باقية «عائشة» كإسمها في تاريخ الإسلام المجيد: سياسة وتشريعاً وأدباً[1].

---

(١) من: * «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.
* «كرائم النساء» أحمد محمد جمال.
* «نساء أنزل الله فيهن قرآنا» د. عبد الرحمٰن عميرة.
* «حقوق النساء في الإسلام» محمد رشيد رضا «بتلخيص وتصرف».

حفصة بنت عمر
رضي الله عنها
[حارسة القرآن]

أم المؤمنين العابدة القوّامة، زوجة الرسول ﷺ في الجنة كما أخبر بذلك جبريل عليه السلام.

ابنة عمر بن الخطاب، الذي تولى خلافة المسلمين فكان يبكي حتى تخضل لحيته ويقول لمن يكفُّه عن البكاء: أخشى لو عثرت بغلة في طريق العراق، لحاسب الله عليها عمر لأنه لم يُسوِّ لها الطريق.

وأمها زينب بنت مظعون أخت الصحابي الجليل عثمان بن مظعون الذي حرم على نفسه الخمر في الجاهلية. . .

ولدت حفصة وتربت في هذه الأسرة العابدة القانتة وكانت قريش تبني الكعبة قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين. لما تأيمت حفصة ذهب أبوها عمر إلى أبي بكر رضي الله عنه وعرض عليه الزواج من حفصة، فسكت أبو بكر ولم يجب بشيء ثم ذهب إلى عثمان بعد أن توفيت زوجته «رقيّة» وكلمه في شأن حفصة فأجابه عثمان، ما لي في النساء من حاجة، فذهب إلى نبي الرحمة وحدثه بما أصابه من صاحبيه، فقال له النبي الكريم: **«يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة»** ففرح عمر بهذه المفاجأة، خرج إلى ابنته حفصة يبشرها بأن الرسول سيتزوجها ويا له من شرف عظيم في الدنيا والآخرة.

وقيل إن الرسول ﷺ طلق حفصة تطليقة واحدة ثم راجعها، وجاء في قصة طلاقها ورجعته أن جبريل نزل على رسول الله ﷺ وقال له: **«ارجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة وإنها زوجتك في الجنة»**.

وعندما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى، وخلفه أبو بكر على شؤون المسلمين اختيرت حفصة من أمهات المؤمنين، وفيهن عائشة الأثيرة، لتحفظ أول مصحف خطي للقرآن الكريم حيث أمر أبو بكر بجمع القرآن في مصحف واحد وأودعه عند أم المؤمنين حفصة.

وعاشت حفصة بعد موت الرسول عابدة قانتة صوامة قوامة، منفردة بشرف الائتمان على أول مصحف للقرآن، كتاب الإسلام الأول ومعجزته الخالدة، وشريعته الراشدة وعقيدته الواحدة.

وعندما أحس أبوها أمير المؤمنين عمر بدنو أجله بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسي، كانت حفصة وصيته على تركته، ثم أوصت حفصة أخاها عبد الله بما أوصاها عليه أبوها، وأوصته كذلك بصدقة يتصدق بها عنها وبمال وقفته.

وكانت حفصة كاتبة ذات فصاحة وبلاغة...

وروت عن رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب ستين حديثاً وروى عنها جماعة من الصحابة والتابعين.

وتوفيت رضي الله عنها في أوائل خلافة معاوية بن أبي سفيان[١].

(١) عن «كرائم النساء» أحمد محمد جمال، «نساء فاضلات» عبد البديع صقر «بتلخيص وتصرف».

زينب بنت خزيمة
رضي الله عنها
[أم المساكين]

هي زينت بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صَعْصَعَة الهلالية وهي أخت ميمونة بنت الحارث ـ أم المؤمنين ـ لأمّها. . كان دخول رسول الله ﷺ بها بعد دخوله على حفصة بنت عمر، وقيل إنها عاشت مع رسول الله شهرين أو ثلاثة وقيل ثمانية، ثم ماتت وهي في الثلاثين من عمرها فلم يطل بها المقام مع رسول الله ﷺ.

كانت تتصف بالطيبة والكرم والعطف على الفقراء وكانت تسمى «أم المساكين» لرحمتها إياهم ورقتها عليهم. . فكانت تطعمهم وتتصدق عليهم. . .

كانت رضي الله عنها، منصرفة عن شواغل الحريم بما كان يشغلها من أم المساكين قانعة بحظها من تقدير النبي ﷺ والمؤمنين، لا يرهقها طمع ولا تنهكها غيرة.

ورقدت في سلام، كما عاشت في سلام وصلى عليها النبي عليه الصلاة والسلام ودفنها بالبقيع فكانت أول من دفن فيه من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن. ولم يمت منهن في حياته ﷺ غير السيدة خديجة والسيدة زينب بنت خزيمة الهلالية أم المؤمنين وأم المساكين[1].

---

(١) من كتاب: «تراجم سيدات بيت النبوة» د. بنت الشاطىء ص (٣١٤ ـ ٣١٨) «بتلخيص وتصرف».

هند بنت أبي أمية
رضي الله عنها
بنت زاد الركب [أم سلمة]

كان أبوها من أجواد العرب المعدودين وقد سُمِّي زاد الركب لأنه كان يكفي رفاقه في السفر بما يكفيهم من زاده.

تزوجت ابن عمها عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو ابن عمة رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة.. وكان أول من هاجر إلى الحبشة وكانت معه وولدت له سلمة، ثم عاد إلى مكة، ولما أراد الهجرة بها إلى المدينة، صدّها قومها وأخذوها منه هي وابنها سلمة، ثم انتزع بنو عبد الأسد آل زوجها ابنها سلمة بالقوة حتى خلعوا يده، فكانت كل يوم تخرج إلى الأبطح بمكة المكرمة وتجلس باكية حتى تمسي، حتى رق لها أحد الرجال من قومها وتشفع لها عند قومه فأعطوها ولدها، وأذنوا لها باللحاق بزوجها في المدينة فكانت أول امرأة هاجرت إلى الحبشة ثم كانت أول ظعينة هاجرت إلى المدينة.

وكانت تُجلُّ زوجها وتحبه، حتى أن أبا بكر وعمر خطباها بعد وفاته من جرح أصابه في غزوة أحد، فلم تقبل.. ثم بعث لها رسول الله ﷺ يخطبها لنفسه، فأرسلت إليه تعتذر بأنها شديدة الغيرة فتخشى أن تغضبه بغيرتها وأنها ذات عيال وكبيرة في السن.. فرد عليها الرسول ﷺ قائلاً: **«أما أنك مسنة، فأنا أكبر منك، وأما الغيرة فسأدعو الله أن يذهبها عنك، وأما العيال فإلى الله ورسوله»**.

وتم زواجها بالنبي ﷺ وأصبحت أم سلمة المهاجرة الأولى في

عداد أمهات المؤمنين تحفظ سنة النبي ﷺ، وتروي حديثه وتحكي هداه، فاجتمع لها من الفضائل النسب الشريف والبيت الكريم والسبق إلى الإسلام، وعلو الأخلاق لاسيما الوفاء، على أن لها فوق ذلك فضيلة أخرى هي جودة الفكر وصحة الرأي، ولا أدل على ذلك من استشارة النبي ﷺ لها في أهم ما حَزَبَه وأهمّه من أمر المسلمين، ذلك أن النبي ﷺ لما صالح أهل مكة وكتب كتاب الصلح بينه وبينهم يوم الحديبية فعندما فرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**»، فما قام منهم أحد.. وغضب الرسول ﷺ واشتد أساه، فدخل على أم سلمة شاكياً لها ما لقي من أصحابه فقالت له: يا نبي الله أتحب ذلك؟ أخرج ولا تكلم أحداً حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك...

وخرج الرسول ﷺ من خيمة أم سلمة وفعل بمشورتها ونحر هديه وحلق شعره، فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا هديهم، وحلقوا شعورهم، وجعل بعضهم يسابق بعضاً على النحر والحلق، حتى كادوا يقتتلون همّاً وندماً على ما فرط منهم.. وثاب المسلمون إلى عقولهم بعد أن غلبتهم عليها عواطفهم، فأدركوا أي صلح عقد النبي ﷺ وأنه ما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، فلقد دخل في دين الله بعد الحديبية، مثل من كان قبل ذلك وأكثر.

ولا يظن ظان، أن الصحابة رضوان الله عليهم، خالفوا أمر الرسول أو عصوه ـ معاذ الله ـ إنما كبُر في صدورهم أن يرجعوا إلى المدينة قبل أن يدخلوا مكة، وخُيِّل إليهم أنهم غلبوا على أمرهم، لكن الله سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوبهم من حب وإيمان، وصدق في صحبتهم للرسول ﷺ، وافتدائهم له بأنفسهم وأموالهم لنصرة هذا الدين، لذلك تسابقوا في النحر والحلق بعدما رأوا رسول الله ﷺ يأخذ بمشورة أم سلمة رضي الله عنها.

وصحبت أم سلمة رسول الله ﷺ وأصحابه في ذلك الفتح «فتح مكة» بعد عامين من صلح الحديبية، كما صحبته في حصاره للطائف وغزوه لهوازن وثقيف.

كما شهدت فتح خيبر، وقالت مع نسوة: ليت الله كتب علينا الجهاد، كما كتب على الرجال، فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم فنزلت: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[1].

وفي الفتنة الكبرى، قدمت ابنها عمر إلى عليّ كرم الله وجهه معتذرة عن خروجها معه، وذهبت إلى عائشة تلومها في خروجها على الإمام قائلة لها: أي خروج هذا الذي تخرجين؟ الله من وراء هذه الأمة، لو سرت مسيرك هذا، ثم قيل لي: أدخلي الفردوس، لاسْتَحَيْتَ أن ألقى محمداً هاتكة حجاباً قد ضربه عليّ.

وروت عن النبي ﷺ وعن أبـي سلمة وفاطمة الزهراء (٣٨٧) حديثاً، أخرج لها منها في الصحيحين (٢٩) حديثاً المتفق عليه منها (١٣) حديثاً وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بثلاثة عشر وروى لها الجماعة.. وروى عنها ابناها عمر وزينب ابنا أبـي سلمة.. وأخوها عامر بن أبـي أمية وابن أخيها مصعب بن عبد الله وآخرون كثيرون...

وتوفيت بالمدينة وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع...

رضي الله عن أم سلمة في نساء النبـي الطواهر وأمهات المؤمنين الراشدات[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٢) من كتاب «نساء فاضلات» عبد البديع صقر، «كرائم النساء» أحمد محمد جمال. «حقوق النساء في الإسلام» رشيد رضا تحقيق طارق السعود مع «التلخيص والتصرف».

زينب بنت جحش الأسدية
رضي الله عنها
[أكرمهنّ ولياً وسفيراً وأطولهن يداً]

هي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر الأسدية.. سليلة بني أسد بن خزيمة المضري وحفيدة عبد المطلب بن هاشم.. أمها «أميمة بنت عبد المطلب» عمة رسول الله ﷺ.

زوَّجها النبي ﷺ بأمر الله تعالى لمولاه «عتيقة» ومتبناه زيد بن حارثة، ثم زوجه الله إياها بعد طلاق زيد لها، لحكمة لا تعلوها حكمة في زواج أحد من أزواجه وهي إبطال بدعة التبنِّي التي كانت متبعة في الجاهلية...

أسلمت قديماً وهاجرت مع رسول الله ﷺ إلى المدينة فخطبها رسول الله ﷺ إلى زيد، فقالت زينب: يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا أيم قريش... قال: «**فإني قد رضيته لك**»، فتزوجها زيد بن حارثة...

وبينما كان رسول الله ﷺ يتفقد زيداً فلم يجده، ذهب إلى منزله، فقامت إليه زينب فضلاً، فأعرض عنها رسول الله ﷺ، فقالت: ليس هو هاهنا يا رسول الله، فادخل بأبي أنت وأمي.. فأبى رسول الله ﷺ أن يدخل، وعندما حضر زيد أخبرته امرأته أن رسول الله ﷺ أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل؟ قالت: عرضت عليه ذلك فأبى...

وكان زيد يشكو من معاملة زينب له، فكانت تغلظ له القول وتتعظم عليه لشرفها، فيذهب إلى النبي ﷺ شاكياً ويستأذنه في طلاقها فيقول له: «**أمسك عليك زوجك واتق الله..**» إلا أن النبي ﷺ كان يعلم أنه لا بد من طلاقها وأن الله سيأمره بالتزوج منها بعد قضاء عدتها إبطالاً لبدعة التبنّي.

ثم فارقها زيد واعتزلها وانقضت عدتها وظل رسول الله ﷺ على حاله هذه حتى أنزل الله فيها: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾[1].

ودخل محمد ﷺ ببنت عمته، امتثالاً لأمر الله.. وكانت زينب تقول مخاطبة أزواج النبي ﷺ: «أنا أكرمُكن وليّاً وأكرمكُن سفيراً، زوجكن أهلكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات»[2].

كانت زينب رضي الله عنها تقية صادقة التدين شهدت لها بذلك كله السيدة عائشة رضي الله عنها حين قالت وهي تبكي لوفاتها: «لم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأنقى وأتقى لله عز وجل، وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب به إلى الله عز وجل»[3].

وفي الحديث. . أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب: «**إن زينب بنت جحش أوّاهة**» فقال رجل: يا رسول الله: ما الأوّاه؟ قال: «**الخاشع المتضرع**» ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾[4].

وكانت زينب كريمة خيّرة وتصنع بيديها ما تحسن صنعه ثم تتصدق به على المساكين، عيال الله.. وكانت رضي الله عنها صوّامة قوّامة في الوقت الذي كانت تصنع بيديها فتدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله، ولذلك قال عنها رسول الله ﷺ: «**أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا**».

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧..
(٢) طبقات ابن سعد: ٨/ ٧٣..
(٣) صحيح مسلم: ح (٢٤٤٢)..
(٤) الاستيعاب لابن عبد البر، والإصابة لابن حجر والآية: ٧٥، من سورة هود..

قالت عائشة: فكنا نتطاول أيتهن أطول يداً. . فلم نزل نفعل حتى توفيت زينب، ولم تكن بأطولنا فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة. . ولا أدل على بذلها الأموال وزهدها بالدنيا، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إليها عطاءها ـ وهو أمير المؤمنين ـ إثنى عشر ألفاً، فجعلت تقول: «اللهم لا يدركني هذا المال في قابل، فإنه فتنه»[١]، ثم قسمته في أهل رحمها وفي أهل الحاجة، فأرسل إليها عمر عندما علم بتفريقها للمال وقال: أرسل ألف درهم تستبقينها»، فتصدقت بها جميعاً لم تبق منها درهماً. . .

وحين حضرتها الوفاة قالت: «إني قد أعددت كفني وإن عمر أمير المؤمنين سيبعث إليّ بكفن، فتصدقوا بأحدهما وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوي ـ أي بإزاري ـ فافعلوا».

وتوفيت زينب في خلافة عمر بن الخطاب وهي ابنة ٥٣ سنة وكانت أول من حُمل في نعش، فلما رأى عمر النعش قال: «نعم خباء الظعينة» ولم تترك بعد وفاتها ديناراً ولا درهماً. . وصلى عليها أمير المؤمنين، وشيع أهل المدينة إلى البقيع أم المؤمنين زينب بنت جحش أول من مات من نساء النبي ﷺ بعد وفاته وأطولهن يداً وأسرعُهن لحاقاً به. .[٢]

---

(١) في ترجمتها بالاستيعاب والإصابة، رواه مسلم بلفظ مقارب في فضائل الصحابة.

(٢) «تراجم سيدات بيت النبوة» د. عائشة عبد الرحمٰن. «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

جويرية بنت الحارث
رضي الله عنها
[سيدة بني المصطلق البركة على قومها]

هي جويرية بنت الحارث بن أبـي ضرار، بنت زعيم بني المصطلق وقد بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون الجموع لقتاله، فخرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع، فكان قتال انتهى بهزيمة بني المصطلق، وسيقت نسائهم سبايا وفيهن جويرية بنت سيدهم وكانت تسمى برّة.

وجاءت النبـي ﷺ فتعرفت إليه وأخبرته بأنها بنت سيد قومها وأنها وقعت في السهم لثابت بن قيس.. فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على أمري ـ أي على تحرير نفسها ـ.

فقال لها رسول الله ﷺ: «**أوْ خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك، وأتزوجك**» قالت: نعم، ففعل. فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ فأعتقوا جميع الأسرى والسبايا، فأسلموا كلهم، فكانت أعظم امرأة بركة على قومها، وكان لهذا العمل أحسن التأثير في العرب كلها...

وفي رواية أن أباها جاء النبـي ﷺ فقال: إن ابنتي لا يسبـى مثلها فخلّ سبيلها، فأمره ﷺ أن يخيرها: فسُرَّ بذلك، فخيرها فاختارت الله ورسوله، وكانت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث من أعبد أمهات المؤمنين، وروى عنها ابن عباس وجابر وابن عمر، وعبيد بن السباق، وابن أختها الطفيل وغيرهم. وقد عاشت رضي الله عنها إلى أن استقر الأمر لمعاوية، وتوفيت بالمدينة سنة ٥٦ على الأرجح وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة...

رضي الله عن جويرية أم المؤمنين التي «لم تكن امرأة أعظم على قومها بركة منها»[1].

(١) «تراجم سيدات بيت النبوة» د. بنت الشاطىء. «حقوق النساء في الإسلام». محمد رشيد رضا. «بتلخيص وتصرف».

صفية بنت حُيَـيّ
«عقيلة بني النضير» رضي الله عنها
[زوجي محمد وأبـي هارون وعمي موسى]

هي أم المؤمنين صفية بنت حُيـيّ بن أخطب، من ذرية نبـي الله هارون أخي موسى عليهما السلام. . .

كانت من بني النضير وأسرت بعد قتل زوجها في غزوة خيبر، فأخذها دحية في سهمه. . فقال بعض الصحابة لرسول الله ﷺ: إنها سيدة بني قريظة لا تصلح إلا لك، فأخذ برأيهم وأبـى أن تذل هذه السيدة بالرق عند من تراه دونها، فاصطفاها وأعتقها وتزوجها. . .

ولقد خيرها رسول الله ﷺ أن يعتقها وتكون زوجته أو يلحقها بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته. . بلغها يوماً أن عائشة وحفصة قالتا لها: نحن أكرم على رسول الله منك. . فذكرت ذلك للنبـي ﷺ فقال: **«ألا قلت وكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد وأبـي هارون وعمي موسى»**.

كانت رضي الله عنها، فاضلة عاقلة ذات جمال وشرف اجتمع نفر في حجرة صفية فذكروا الله تعالى والقرآن وسجدوا فنادتهم. . وجاءت جارية لصفية عمر بن الخطاب فقالت: أن صفية تحب السبت وتصل اليهود. . .

فبعث إليها عمر وسألها عن ذلك. . فقالت: أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة. . وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها. . .

ثم سألت الجارية.. ما حملك على هذا؟ قالت: الشيطان. قالت: اذهبـي فأنت حرّة.

وجاءت صفية حينما حوصر عثمان رضي الله عنه على بغله لترد عنه، فلقيها الأشتر فضرب وجه البغلة وهو لا يعرف راكبتها.. فقالت صفية: ردني لا تفضحني ثم وضعت معبراً بين منزلها ومنزل عثمان فكانت تنقل إليه الطعام والماء...

وروت صفية عن النبـي ﷺ عشرة أحاديث وروى عنها ابن أخيها ومولاها كنانة ويزيد بن متعب وإسحاق بن عبد الله بن الحارث ومسلم بن صفوان...

وتوفيت في خلافة معاوية سنة ٥٠ وفي رواية سنة ٥٢. ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين[١].

---

(١) من كتاب: «تراجم سيدات بيت النبوة» د. عائشة عبد الرحمن.
«نساء فاضلات» عبد البديع صقر.
«حقوق النساء في الإسلام» محمد رشيد رضا. «بتلخيص وتصرف».

أم حبيبــة
رملة بنت أبـي سفيان الأموية
رضي الله عنها

[قالت لأبيها: لا أحب أن تجلس على فراش رسول الله وأنت رجل مشرك]

سيدة جليلة فاضلة، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة الهجرة الثانية: ثم تنصر هناك ومات على النصرانية أما زوجته رملة، فقد ثبتت على دينها الإسلام، فأرسل النبـي ﷺ إلى النجاشي يخطبها له، وأصدقها أربعمائة دينار ولما عادت إلى المدينة بنى بها، فقال أبوها: هو الفحل لا يقدع أنفه، فهو لم ينكر كفاءته، بل افتخر به.

فكانت خير الأزواج، قوية الإيمان بالله ورسوله...

عندما قدم أبو سفيان على رسول الله ﷺ بالمدينة سنة ثمان هجرية.. فوجئت به أم المؤمنين يدخل بيتها ولم تكن قد رأته منذ هاجرت إلى الحبشة، فوقفت تجاهه بادية الحيرة، ثم جلس أبو سفيان من تلقاء نفسه على الفراش فما كان من رملة أن وثبت واختطفت الفراش وطوته في إعزاز، فقال لها أبوها: والله ما أدري أرغبت بـي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟

فقالت له بنته: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس، فلا أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، فقال لها أبو سفيان: والله قد أصابك يا بنيه بعدي شر.. ثم خرج...

موقف صنعه الإيمان وهي تمنع أباها «المشرك» أن يمس فراش زوجها خير خلق الله...

واستندت أم حبيبة على جدار بيتها عصية الدمع معطلة الحواس.

ولأم حبيبة في الكتب الستة خمسة وستون حديثاً روت عنها ابنتها حبيبة وأخواها وابن أخيها أو ابن أختها ومواليها وآخرون...

ولما حضرتها الوفاة دعت عائشة زوج النبي ﷺ فقالت: قد يكون بيننا ما بين الضرائر، فغفر الله لي ولك وما كان من ذلك.. فقالت عائشة: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز، وحلّك من ذلك.. فقالت لها أم حبيبة: سررتني سرّك الله.. وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك...

ثم رقدت بسلام، وأودع جسدها الطاهر ثرى البقيع الطيب في المدينة المنورة سنة أربع وأربعين..[1].

---

(١) من كتاب: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.
«تراجم سيدات بيت النبوة» د. بنت الشاطىء.
«حقوق النساء في الإسلام» محمد رشيد رضا. بتلخيص وتصرف.

مارية بنت شمعون القبطية
رضي الله عنها
[أم إبراهيم]

من فواضل نساء عصرها . . أهداها المقوقس عظيم القبط في مصر إلى رسول الله ﷺ مع أخت لها تدعى سيرين، مع هدايا ثمينة، وبعث كل ذلك مع حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، الذي أوفده رسول الله ﷺ إلى المقوقس.

وعرض حاطب على مارية الإسلام ورغبها فيه فأسلمت هي وأختها . . .

فاختار رسول الله ﷺ مارية ووهب أختها إلى حسان بن ثابت . . .

وكان رسول الله ﷺ يختلف إليها في المكان الذي أنزلها فيه، وضرب عليها الحجاب، وكان يطؤها بملك اليمين وفي ذي الحجة من سنة ثمان هجرية ولدت له إبراهيم وأعتقها رسول الله ﷺ . . .

لكن سعادتها لم تظل سوى عام وبعض عام إذ توفي ولدها إبراهيم، ولحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى وترك مارية من بعده تعيش خمس سنوات في عزلة عن الناس، لا تكاد تلقي غير أختها سيرين.

لا تكاد تخرج إلا لزيارة قبر الحبيب بالمسجد أو قبر ولدها بالبقيع .

فلما توفيت سنة ست عشرة من الهجرة أخذ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يحشد الناس لجنازتها ثم صلى عليها ودفنها بالبقيع[١].

---

(١) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة.

«تراجم سيدات بيت النبوة» د. بنت الشاطىء. «بتلخيص وتصرف».

ميمونة بنت الحارث
رضي الله عنها
[آخر أمهات المؤمنين]

من فواضل نساء عصرها.. شقيقتها «أم الفضل» زوج العباس بن عبد المطلب وأول امرأة آمنت بعد خديجة رضي الله عنها وأخواتها لأمها زينب بنت خزيمة، أم المؤمنين وأم المساكين، وأسماء بنت عميس، وسلمى بنت عميس، وأمهن جميعاً هند بنت عوف...

تزوجها رسول الله ﷺ سنة سبع هجرية.. زوَّجه إياها العباس بن عبد المطلب لأنه كان يلي أمرها، فكانت آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ.

قال ابن شهاب: هي التي وهبت نفسها للنبي وكذلك قال قتادة.. وفيها نزلت: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾[1] الآية.. فقال ابن عبد البر: وقول ابن شهاب الصواب.

قالت فيها عائشة رضي الله عنها: أما أنها كانت والله من أتقانا لله وأوصلنا للرحم.

ولأم المؤمنين ميمونة ستة وأربعون حديثاً عن الأئمة الستة.. روى عنها عبد الله بن عباس ويزيد بن الأصم وجماعة من التابعين...

وتوفيت ولها من العمر إحدى وثمانون سنة ودفنت في «سرف» قرب التنعيم، نفس المكان الذي بنى بها رسول الله ﷺ...

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.

وصلى عليها ابن أختها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. سلام على ميمونة. . .

وسلام على نساء النبي ﷺ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن[1].

---

(١) «تراجم سيدات بيت النبوة» د. عائشة عبد الرحمن.
«نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

الفصـــل الـرابـــع:

* بنات النَّبـيّ ﷺ

- السيدة: زينب بنت محمد ﷺ.
- السيدة: رقية بنت محمد ﷺ.
- السيدة: أم كلثوم بنت محمد ﷺ.
- السيدة: فاطمة بنت محمد ﷺ.

* حفيدات النَّبـيّ ﷺ

- السيدة: زينب بنت عليّ بن أبـي طالب رضي الله عنها.
- السيدة: أم كلثوم بنت عليّ بن أبـي طالب رضي الله عنها.
- السيدة: فاطمة بنت الحسين بن عليّ رضي الله عنها.
- السيدة: سكينة بنت الحسين بن عليّ رضي الله عنها.
- السيدة: نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ رضي الله عنها.

بنـــات النبـــي ﷺ

زينب بنت محمد ﷺ

[فادية زوجها]

سيدة فاضلة كريمة، ونموذجاً مشرفاً للكرم والوفاء زوَّجها رسول الله ﷺ ابن خالتها أبـي العاص بن الربيع قبل النبوة، وعندما نزل الوحي دخلت وأخواتها في دين الله، إلا أن زوجها أبَـى وقال لها: والله ما أبوك عندي بمتهم ولكني أكره أن يقال، أني خذلت قومي، وكفرت بدين آبائي إرضاء لإمرأتي.. وكانت صدمة أولى لزينب.

ونشبت معركة بدر، ويكون زوجها من الأسرى وبعثت زينب في فداء زوجها أبـي العاص بقلادة كانت أمها خديجة قد أهدتها لها يوم عرسها، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا..**» فقالوا: نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذي لها...

وأمرها رسول الله ﷺ باللحاق به في دار الهجرة بعد أن أمر زوجها بطلاقها لأنه ما زال مشركاً ولا تحل له وكانت فجيعة أخرى لزينب.

ولحقت زينب بأبيها في المدينة بعد أن لقيت من أذى قريش عنتاً شديداً فقد روعها «هبار بن الأسود الأسدي» ونخس بعيرها برمحه فألقاها على صخرة فإذا هي تنزف دماً وقد طرحت جنينها على أديم الصحراء.

ويفد أبو العاص إلى المدينة تاجراً وهو ما زال مشركاً وقد طاردته سرية من سرايا المسلمين..، فأقبل تحت الليل حتى دخل على زينب

مستجيراً. . فصرخت زينب: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فسمع الرسول نداءها وهو مع المسلمين في المسجد.

ثم ذهب إلى ابنته فقالت له: يا رسول الله. . إن أبا العاص. . إن قرب فابن عم. . وإن بَعُد فأبو ولد. . وإني قد أجرته. . فيقول رسول الله ﷺ لابنته زينب: **«أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له ما دام مشركاً»**.

ثم رجع أبو العاص إلى مكة فأدى إلى كل ذي حق حقه، ثم أسلم، ورجع إلى النبي مسلماً مهاجراً، ويردّ الرسول ﷺ إليه زينب ويلتئم شمل الأسرة. . ولكن إلى أجل قصير، حيث تموت زينب بعد عام واحد من لقائها بزوجها الحبيب وكانت وفاتها بسبب سقطتها عند مخرجها من مكة. . .

لقد كانت رضي الله عنها مثالاً رائعاً للزوجة الوفية الرؤوم. .[1].

---

(١) «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «كرائم النساء» أحمد محمد جمال. «بتلخيص وتصرف».

رقية بنت محمد ﷺ

[ذات الهجرتين]

تزوجها عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب قبل النبوة فكان حموها «أبو لهب وحماتها: حمالة الحطب» ولما بعث النبي ﷺ، قال أبو لهب لابنه عتبة: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنة محمد.. ففارقها.

ثم تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه بمكة وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً، وهاجرت إلى المدينة مع زوجها عثمان حين هاجر رسول الله ﷺ...

وأثناء التجهيز لمعركة بدر مرضت بالحصبة، فخلف رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فظلٍ إلى جانبها حتى قضت نحبها راضية مرضية ومضت إلى لقاء ربها مثلاً للزوجة الصابرة المهاجرة ونموذجاً مشرفاً للفتاة الطاهرة الودود...

ولما توفيت قعدت فاطمة على شفير القبر إلى جنب النبي ﷺ فجعلت تبكي، فجعل رسول الله ﷺ يمسح الدمع عن عينيها بطرف ثوبه.. وعن أنس أنه قال: شهدنا دفن بنت رسول الله ﷺ ورسول الله جالس على القبر فرأيت عينه تدمعان.

ولما بكت النساء عليها زجرهن عمر بن الخطاب، فقال له رسول الله ﷺ: **«دعهن يا عمر يبكين»** ثم قال: **«إبكين وإياكن ونعيق الشيطان فإنه مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان»**[1].

---

(١) من كتابي: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر«كرائم النساء» أحمد محمد جمال. «بتلخيص وتصرف».

أم كلثوم بنت محمد ﷺ

تزوجت عتيبة بن أبـي لهب قبل النبوة، فلما بعث رسول الله ﷺ وأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾[1] قال أبو لهب لابنه عتيبة: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنة محمد ففارقها.. فلم تزل مع رسول الله ﷺ حتى هاجرت إلى المدينة...

ولما توفيت أختها رقية، زوَّجها رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان خلفاً لأختها.. ولم تزل عنده إلى أن توفيت ولم تلد له...

وحزن رسول الله ﷺ عليها حزناً شديداً، وعن أنس بن مالك أن النبـي ﷺ لما وضعت في قبرها قال: «**لا ينزل في قبرها أحد قارف أهله الليلة...**» وقال ﷺ: «**أفيكم أحد لم يقارف أهله الليلة؟**» فقال أبو طلحة: أنا يا رسول الله... فقال ﷺ: «**إنزل..**» فنزل.

ورحم الله أم كلثوم فأعفاها من محنتي اليتم والترمل، فلم تشهد رحيل أبيها بعد عام واحد عن الدنيا، ولا المصرع الفاجع لزوجها عثمان[2].

فاطمة بنت محمد ﷺ

خير نساء العالمين

[سبق الحديث عنها في هذا المبحث]

---

(١) سورة المسد، الآية: ١.

(٢) من كتابـي: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.
«تراجم سيدات بيت النبوة» د. عائشة عبد الرحمـٰن. «بتلخيص وتصرف».

حفيدات النبي ﷺ
زينب بنت عليّ بن أبـي طالب
رضي الله عنها
[صاحبة المواقف العظام]

سيدة جليلة ذات عقل راجح ورأي وفصاحة وبلاغة ولدت قبل وفاة جدها ﷺ بخمس سنين، وتزوجت بابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبـي طالب.

أبوها علي بن أبـي طالب، وأمها فاطمة الزهراء.

نشأت محوطة برعاية خاصة من جدها محمد ﷺ، وعطف سابغ من آلها الكرام، فأنبتها الله نباتاً حسناً. . .

سمّاها رسول الله ﷺ زينب لتكون سميّة ابنته الكبرى زينب. . وقد كانت تشبهها كثيراً مما جعله شديد التعلق بها.

كانت تقية ورعة، صوّامة بالنهار، قوّامة بالليل، عالمة نجيبة جمعت من المعارف ما جعلها محط أنظار علية القوم وسادة العارفين المتفقهين. . عرفت بالخير والكرم والحكمة والبصيرة، كما كانت حسنة التصرف وملجأ للشورى. . .

شهدت مع الحسين بن علي رضي الله عنهما شقيقها موقعة كربلاء وقد أبلت فيها بلاء حسناً، إذ كانت تشرف على عمل المجاهدات وتنظم عمليات الإسعاف للجرحى، وتخدم المرضى، وتبعث في المجاهدين روح الحماس والدفاع عن حق معتقد ثبتت عليه.

روى عنها محمد بن عمرو، وعطاء بن السائب وفاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما. . .

ومن كلامها.. «من أراد أن يكون الخلق شفعاءه إلى الله فليحمده، ألم تسمع قولهم سمع الله لمن حمدة فخفِ الله لقدرته عليك، واستح منه لقربه منك».

لقد عاشت رضي الله عنها مدرسة للحكمة، ورمزاً للورع والتقى، وعلماً خفاقاً في طريق الجهاد والصبر والمرابطة في سبيل الله لإعلاء كلمة الإسلام..[1].

---

(١) من كتابي: «الداعية زينب الغزالي، مسيرة وجهاد» إعداد ابن الهاشمي.
«نساء فاضلات» عبد البديع صقر.

أم كلثوم
بنت علي بن أبي طالب
رضي الله عنها

من فواضل نساء عصرها، ولدت قبل وفاة رسول الله ﷺ وخطبها عمر بن الخطاب إلى علي بن أبي طالب، فقال علي: إنها صغيرة.. فقال له عمر: زوجنيها يا أبا الحسن فإني أرصد كرامتها ما لا يرصده أحد...

وتزوجها عمر وأنجبت له زيد بن عمر الأكبر ورقية بنت عمر.. وكانت رحمها الله خطيبة بارعة.

كان عمر يأتي إلى مجلس المهاجرين بين القبر والمنبر وكانوا يجلسون ثم جاء علي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمٰن بن عوف فإذا كان الشيء يأتي عمر من الآفاق، جاءهم فأخبرهم ذلك واستشارهم فيه. فقال عمر: رفئوني، فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ قال: بإبنة عليّ بن أبي طالب.. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل نسب وسبب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري**». فكان لي به عليه السلام النسب والسبب فأردت أن أجمع إليه الصهر، فرفؤوه. ودخل بها في ذي القعدة سنة ١٧هـ[١].

---

(١) من كتاب: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

فاطمة بنت الحسين بن علي بن
أبـي طالب رضي الله عنها

راوية من راويات الحديث.. روت عن جدتها فاطمة مرسلاً.. وعن أبيها وعمتها زينب، وبلال وعبد الله بن عباس وأسماء بنت عميس وعائشة أم المؤمنين وغيرهم...

وروى عنها أولادها عبد الله وإبراهيم وحسين، وأم جعفر بنو الحسن بن الحسن بن علي وغيرهم.

وروى لها أبو داود والترمذي وابن ماجة، وذكرها ابن حبان في الثقات...

ولما قتل أبوها الحسين.. قالت: يا يزيد أبنات رسول الله سبايا؟ قال: بل حرائر كرام أدخلي على بنات عمك تجدين قد فعلن ما فعلت. فدخلت فاطمة إليهن فما وجدت فيهن سفيانية إلا متلثمة تبكي وقد تزوجها الحسن بن الحسن بن علي بن أبـي طالب.

ولما مات عنها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان خطبها عبد الرحمٰن بن الضحاك الفهري وهو عامل بالمدينة.. فقالت: والله ما أريد النكاح ولقد قعدت على بَنِيَّ هؤلاء...

وذكرت فاطمة بنت الحسين عند عمر بن عبد العزيز وكان لها معظماً، فقيل: إنها لا تعرف الشر فقال عمر: عدم معرفتها الشر جنّبها الشر وتوفيت عام ١١٠هـ[1].

---

(١) من كتاب: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف».

سُكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنها

سيدة جليلة ذات نبل ومقام، كانت تجالس الأجلة من قريش وتجتمع إليها الشعراء والأدباء فيحتكمون إليها فيما أنتجته قرائحهم. فتناقشهم وتبين لهم الغث من السمين وتناقش المخطىء مناقشة علمية فيقنع بخطئه ويقر لها بالفضل وقوة الحجة وسعة الإطلاع.

تزوجت سكينة عدة أزواج منهم ابن عمها عبد الله بن الحسن بن علي، ومصعب بن الزبير، وعبد الله بن عثمان الحزامي، وزيد بن عمرو بن عثمان، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ولم يدخل بها، وإبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف ولم يدخل بها.

وشهدت مع زوجها مصعب بن الزبير حرب عبد الملك بن مروان. . .

وكانت سكينة عفيفة. . لكنها برزة من النساء طريفة مزَّاحة، قيل لها: أمك فاطمة يا سكينة وأنت تمزحين كثيراً وأختك لا تمزح، فقالت: لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة فاطمة، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام، تعني آمنة بنت وهب. . .

بعثت سكينة إلى صاحب الشرطة: أنه دخل علينا شامي فابعث إلينا بالشرطي، فلما أتى إلى الباب أمرت ففتح له وأمرت جارية من جواريها فأخرجت إليه برغوثاً، وقالت: هذا الشامي الذي شكوناه، فانصرفوا يضحكون.

وكانت صبورة جداً، فقد خرجت سلعة في أسفل عين سكينة حتى كبرت ثم أخذت وجهها وعينها وعظم ما بها، فقالت للذي يعالجها: ألا ترى ما قد وقعت فيه؟؟ فقال لها: أتصبرين على ما يمسك من الألم حتى أعالجك؟ قالت: نعم، فأضجعها وشق جلد وجهها أجمع وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروقها، وكان منها شيء تحت الحدقة، فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحية ثم سلّ عروق السلعة من تحتها فأخرجها أجمع وردّ العين إلى موضعها وسكينة مضطجعة لا تتحرك ولا تئن حتى فرغ مما أراد وأزال ذلك عنها وبرئت منه.

وقدمت سكينة دمشق مع أهل بيتها بعد قتل أبيها، ثم خرجت إلى المدينة...

وحدثت عن أبيها، وروى عنها فايد المدني مولى عبيد الله بن أبي رافع، وروى عنها أهل الكوفة، وتوفيت بالمدينة لخمس خلون من ربيع الأول سنة ١١٧هـ[١].

(١) من كتاب: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن
عليّ بن أبي طالب رضي الله عنها

من ربات العبادة والصلاح والورع.. ولدت بمكة سنة ١٤٥هـ، ونشأت بالمدينة، ودخلت مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق...

حفظت نفيسة القرآن الكريم وتفسيره، وروي أن الإمام الشافعي لما دخل مصر حضر إليها وسمع عليها الحديث وكانت رحمها الله، كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار، وكانت لا تأكل إلا في كل ثلاث ليال أكلة واحدة، وحجت ثلاثين حجة وكانت تتعلق بأستار الكعبة وتبكي بكاء شديداً.

قالت زينب بنت يحيى المتوج: خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت الليل ولا أفطرت بنهار فقلت لها: أما ترفقين بنفسك؟ فقالت: كيف أرفق بنفسي وقدّامي عقبات لا يقطعها إلا الفائزون.

وكان بشر بن الحارث الحافي، يزورها فمرض بشر مرّة، فعادته نفيسة، فبينما هي عنده إذ دخل الإمام أحمد بن حنبل يعوده كذلك، فنظرت إليه نفيسة فقال لبشر: من هذه؟ فقال له بشر: هذه نفيسة بلغها مرضي فجاءت تعودني. فقال الإمام أحمد لبشر: فاسألها تدعو لنا، فقال لها بشر: أدع الله لنا، فقالت: اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فأجرهما يا أرحم الراحمين.

وكانت نفيسة ذات مال وإحسان إلى المرضى والجذماء وكانت

تحسن إلى الإمام الشافعي لما ورد إلى الديار المصرية، ولما توفي الشافعي أمرت بجنازته فأدخلت إليها فصلّت عليه.

ومرضت نفيسة بعد أن أقامت بمصر سبع سنين فكتبت إلى زوجها إسحاق المؤتمن كتاباً وحفرت قبرها بيدها في بيتها، فكانت تنزل فيه وتصلي كثيراً وما برحت تنزل فيه وتصلي كثيراً وتقرأ كثيراً وتبكي بكاء عظيماً حتى احتضرت سنة ٢٠٨هـ وهي صائمة فألزموها بالفطر، وألحوا وأبرموا، فقالت: واعجباه منذ ثلاثين سنة.. اسأل الله تعالى أن ألقاه وأنا صائمة.. أأفطر الآن، هذا لا يكون ثم قرأت سورة الأنعام، وكان الليل قد هدأ فلما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[١]، فاضت روحها إلى بارئها، ودفنت بالجهة الشرقية الجنوبية من القاهرة في مصر..[٢].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٧.

(٢) «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

الفصل الخامس:

نساء صحابيات

* السيدة: أسماء بنت عميس رضي الله عنها.
* السيدة: خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها.
* السيدة: أم شريك رضي الله عنها.
* السيدة: أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها.
* السيدة: أروى بنت عبد المطلب رضي الله عنها.
* السيدة: فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها.
* السيدة: فاختة بنت أبي طالب رضي الله عنها.
* السيدة: أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها.
* السيدة: عاتكة بنت زيد بن عمرو رضي الله عنها.
* السيدة: فاطمة بنت أسد بن هاشم رضي الله عنها.
* السيدة: معاذة: جارية عبد الله بن أبي
رضي الله عنها.

* السيدة: أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها.
* السيدة: أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها.
* السيدة: بسرة بنت صفوان بن نوفل رضي الله عنها.
* السيدة: زينب بنت أبي سلمى المخزومية رضي الله عنها.
* السيدة: أم رومان بنت عامر الكنانية رضي الله عنها.
* السيدة: أم الحكم بنت أبـي سفيان رضي الله عنها.
* السيدة: أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها.
* السيدة: الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها.
* السيدة: خيرة بنت أبي حدرد (أم الدرداء) رضي الله عنها.
* السيدة: خولة بنت حكيم بن أمية رضي الله عنها.
* السيدة: أم ذر الغفاري رضي الله عنها.
* السيدة: الرُّبيِّع بنت معوذ الأنصارية رضي الله عنها.
* السيدة: أم كلثوم بنت أبـي بكر رضي الله عنها.
* السيدة: أم ورقة بنت عبد الله الأنصارية رضي الله عنها.
* السيدة: أمية بنت قيس أبـي الصلت رضي الله عنها.
* السيدة: هند بنت عتبة بن ربيعة رضي الله عنها.
* السيدة: أم حميد الأنصارية رضي الله عنها.

أسماء بنت عميس رضي الله عنها

[من فضليات الأخوات المسلمات الخالدات. . .]

كانت تملك من الشجاعة والصراحة في القول، والرغبة في الحق ما جعلها من السابقين الأولين من المهاجرين. . .

روى عنها كثيرون من أعلام الرجال وطلاب الحق وأوتاد الدين، منهم القاسم عبد الله بن جعفر، والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيّب، وعروة بن الزبير. . .

وبلغ من فضلها وحسن سيرتها، وتمكّنها من المعارف في علم الرواية وأسرار التنزيل والتأويل أن كبار الصحابة كانوا يسعون إليها يطلبون رأيها ويأخذون عنها، حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعود إليها ويسألها تأويل رؤياه.

وكانت رضي الله عنها، من أملك الناس لنفسها عند الخطب إذا جلّ وعند القضاء إذا حلّ، وهي التي غسّلت زوجها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر، بوصية منه، ولما بلغها مقتل ولدها محمد بن أبي بكر، لزمت مصلاها عابدة ناسكة محتسبة صابرة.

كتب الله لها أن تنال شرف الزواج من كبار الصحابة مثل جعفر بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم جميعاً. . .

وأنجبت لهم الولد، فكانت من أنجب النساء وأسناهن رأياً، وأتقاهن في دين الله[1].

---

(١) من كتاب: «مسيرة وجهاد الداعية زينب الغزالي» إعداد ابن الهاشمي. «بتلخيص وتصرف».

خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها

[المجادلة الناصحة]

صحابية جليلة، زوجة أوس بن الصامت، «ابن عمها»، أسلم مبكراً، وشهد بدراً وأحداً، والخندق، وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ.

كانت خولة نموذجاً للمرأة الصالحة، ومثالاً للزوجة الوفية، وقدوة للأم المربية.. ربَّت أبناءها على صهوات الخيل، وعودتهم على استنشاق غبار المعارك، ودربتهم على طعنات السيوف وضربات الرماح...

عندما تقدم العمر بزوجها، وكبرت سِنُّه، أصيب بِلَمَمْ، كان يفيق منه فيعقل بعض العقل، فقال لامرأته خولة وهو في بعض صحواته: «أنت عليَّ كظهر أمي».. ثم ندم وقال لزوجته: ما أراك إلا قد حُرِّمت عليّ...

فقالت له خولة: ما ذكرت طلاقاً، وهذا التحريم إنما كان فينا، قبل أن يبعث الله رسوله محمد ﷺ...

نعم.. إنها الزوجة العاقلة، الحريصة كل الحرص على بيتها ألاَّ ينهدم، وعلى أولادها ألاَّ يُضيِّعُوا، وعلى زوجها ألا ينفصل عنها على الرغم من شيخوخته، وأخلاقه الشِّداد.

ثم ذهبت خولة إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة فقالت له: يا رسول الله: إن أوْساً مَنْ قد عرفت، أبو ولدي وابن عمي، وأحبُّ الناس إليَّ وقد عرفت ما يصيبه من اللمم، وقد قال كلمة، والذي أنزل عليك

الكتاب بالحق ما ذكر طلاقاً.. فقال لي: أنت عليَّ كظهر أمي، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أراك إلا قد حرمت عليه**».

فجادلت رسول الله ﷺ مراراً، ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك شدة وَجْدي وما شق عليَّ من فراقه، اللهم أنزل على لسان نبيك ما يكون لنا فيه فرج..

قالت عائشة: فلقد بكيت، وبكى مَنْ كان معنا من أهل البيت، رحمة لها ورقة عليها فبينا هي كذلك بين يَدَيْ رسول الله ﷺ تكلمه إذ نُزِّل عليه وَحْي السماء...

وما أن سُرِّيَ عنه، إذا هو يبتسم ويقول: «**يا خولة**»، قالت: لبيك يا رسول الله.. فقال لها: «**قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا**» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾[1].

ثم قالت خولة:

فقال لي رسول الله ﷺ: «**مُريه فليعتق رقبة**».

قلت: يا رسول الله ما عنده ما يعتق.

قال ﷺ: «**فليصم شهرين متتابعيْن**».

قالت: فقلت: والله إنه لشيخ ما له من صيام.

قال ﷺ: «**فليطعم ستين مسكيناً، وسقاً من تمر**».

قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده.

فقال رسول الله ﷺ: «**فإنا سنعينه بعرق من تمر**».

قالت: فقلت يا رسول الله، وأنا سأعينه بعرق آخر.

قال ﷺ: «**قد أصبت وأحسنت، فاذهبي فتصدقي به عنه، ثم**

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١.

استوصي بابن عمك خيرا. .».

قالت: قد فعلت.

وعادت الفرحة إلى خولة، لكنها لم تدم طويلاً إذ مات زوجها أوس، وعاشت بعده تعبد ربها، وتترحم عليه، وتطلب له من ربها المغفرة والرحمة. . .

وفي خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، خرج عمر يوماً من المسجد ومعه نفر من أصحابه، فإذا بامرأة ظهرت على الطريق، فسَلَّم عليها عمر، فردّت عليه السلام وقالت له: هيهات يا عمر، عهدتك وأنت تُسمِّي عمْيراً في سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سُمِّيتَ عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سُمِّيتَ أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر فيما أنت مستخلف فيه، واعلم أنه من خاف الوعيد، قرُبَ عليه البعيد، ومن خاف الموت خُشِيَ عليه الفوت. . . فقال صاحب عمر الذي كان معه: قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين. . فقال له عمر: دَعْها، أما تعرفها؟. . هذه خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت، التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فعُمر والله أحق أن يسمع لها.

فكما كانت خولة مثال المرأة المؤمنة التقية، ونموذج الزوجة الحريصة الوفية. . كانت أيضاً صورة رائعة للمسلمة الجريئة الناصحة، حين استوقفت أمير المؤمنين عمر لتنصحه بالتقوى فيما استخلفه الله عليه من شؤون المسلمين ومصالحهم.

رضي الله عن عمر في الخلفاء الأتقياء. . ورحم الله خولة، في الزوجات الصالحات[1].

---

(١) «نساء أنزل الله فيهن قرآنا» د. عبد الرحمٰن عميرة. ط ٣ دار اللواء للنشر والتوزيع «بتلخيص وتصرف». «كرائم النساء» أحمد محمد جمال.

أم شـريـك
غزية بنت جابر الدّوسية رضي الله عنها

[هدى الله قومها على يديها]

امرأة مؤمنة، ومهاجرة صابرة، تحملت في سبيل إسلامها الكثير من العذاب، على أن تترك دين التوحيد، فأبت. . فأكرمها الله، وأنقذها من براثن العذاب. . .

من قبيلة دوْس، هاجر زوجها إلى المدينة وبقيت أم شريك وحدها في داره حتى يعود إليها وكانا قد أسلما على يد: الطفيل بن عمرو الدوْسي رضي الله عنه، فجاءها أهل زوجها، وأخرجوها من دارها، وتوعدوها عذاباً شديداً إن لم ترجع عن دينها، فأبت فحملوها على شر ركابهم ـ جمل فيه غلظة ـ، وكانوا يطعمونها الخبز والعسل ويحرموها من شرب الماء، فإذا ما انتصف النهار، وحميت الشمس، تركوها وحدها تصْلى حرّ الهجير، وفعلوا بها ذلك ثلاثة أيام، ثم عادوا فطلبوا منها أن تترك ما عليه من دين فتشير بإصبعها إلى السماء بالتوحيد.

تقول أم شريك رضي الله عنها:

فوالله إني لعلى ذلك، وقد بلغ بـي الجهد والظمأ إذ وجدت برْد دلْو على صدري، فإذا هو دلو ماء فأخذته فشربت منه قليلاً ثم نزع مني، فذهبت أنظر فإذا هو معلق بين السماء والأرض، ثم عاد ثانية فشربت منه قليلاً ثم رفع، فذهبت أنظر فإذا هو بين السماء والأرض، ثم عاد الثالثة فتناولته فشربت منه حتى رويت وأفضت سائره على جسدي وثيابـي. . .

فلما استيقظ القوم نظروا فقالوا: من أين لك هذا يا عدوّة الله؟

قلت لهم: إن عدوة الله غيري من خالف دينه، وأما قولكم من أين هذا، فمن عند الله، رزق رزقنيه الله...

ثم انطلقوا فنظروا إلى أسقيتهم وقربهم فوجدوها كما تركوها، فأسلموا لساعتها وقالوا: نشهد أن ربَّك هو ربُّنا، وأن الذي رزقك ما رزقك في هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا هو الذي شرع الإسلام ديناً.

فأسلموا، وهاجروا جميعاً إلى رسول الله ﷺ، هاجروا عندما وَضُحَ لهم نور الإيمان، واستبان لهم طريق الهدى...

ذاك هو صنيع المستضعفات اللواتي لم يعتصمن إلا بشرف النفس، ولم يأوين إلا إلى قوة الإيمان.

إنها امرأة، حباها الله بإرادة صلبة وعزيمة ماضية، ورزقها قلباً عامراً بالإيمان وثقة عالية بالله، فاستمسكت بهدى ربها، فهدى الله قومها على يديها[1].

---

(١) «نساء أنزل الله فيهن قرآناً» د. عبد الرحمٰن عميرة. «بتلخيص وتصرف».

أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها

[المؤمنة كما سمّاها القرآن]

مهاجرة جليلة، أسلمت مبكراً في مكة، وبايعت النبي ﷺ قبل الهجرة، وخرجت في هدنة الحديبية.. ولا تعرف قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة سواها.. مؤمنة قانتة، وزوجة صابرة، وأم بارة بأبنائها عرف الإيمان طريقه إلى قلبها فعاشت له، ضاقت عليها مكة بوديانها، ففرت إلى ربها مهاجرة، وفارقت خدرها ومستقر أمنها، وتحت جنح الليل فريدة شريدة تطوى بها قدماها ثنايا الجبال بين مكة والمدينة، إلى مفزع دينها ودار هجرتها إلى رسول الله ﷺ في يثرب...

وخرج في إثرها أخواها الوليد وعمارة إبنا عقبة، ليردّاها عن الإسلام فمنعها الله منهما بالإسلام، وقد أنزل الله فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ «أبى الله ذلك...».

وروت أم كلثوم عن رسول الله ﷺ وعن بسرة بن صفوان عشرة أحاديث، وروى عنها ابنيْها حميد وإبراهيم ابنا عبد الرحمٰن بن عوف، وحميد بن نافع وغيرهم[2].

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١٠.

(٢) عن «نساء فاضلات» عبد البديع صقر... «بتلخيص وتصرف».

أروى بنت عبد المطلب رضي الله عنها

[عمة رسول الله ﷺ]

شقيقة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أسلمت أروى بمكة، وهاجرت إلى المدينة، وكانت قبيل إسلامها تعضّد النبـي ﷺ بلسانها وتحض ابنها في نصرته والقيام بأمره.

عندما أسلم ابنها كليب بن عمير في دار الأرقم قالت له: إن أحق من وازرت وعضدت ابن خالك والله لو كنَّا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه وذببنا عنه.

قال لها أبو جهل: ألا ترين ابنك كليباً قد صير نفسه عرضاً دون محمد؟ فقالت له: خير أيامه يوم يَذُبُّ ـ أي يدافع ـ عن ابن خاله، وقد جاء بالحق من عند الله، فقالوا: ولقد تبعت محمداً؟ قالت: نعم وعندما سمع أبو لهب بإسلامها، دخل عليها وقال: عجباً لك ولإتباعك محمداً وتركك دين عبد المطلب، فقالت: قد كان ذلك، فقم دون ابن أخيك واعضده وامنعه، فإن يظهر أمره، فأنت بالخيار إن تدخل معه أو تكون على دينك، فإن يصب كنت قد أعذرت في ابن أخيك... وتوفيت نحو ١٥ هـ[١].

---

(١) «نساء أنزل الله فيهن قرآناً». د. عبد الرحمن عميرة. «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

فاطمة بنت الخطاب
ابن نفيل القرشية رضي الله عنها

من فواضل النساء، أسلمت قديماً، قبل أخيها عمر بن الخطاب، وحسن إسلامها، وبايعت النبي ﷺ، فكانت من المبايعات الأول، وكانت تخفي إسلامها من أخيها عمر خوفاً من بطشه. . .

وتقلد عمر سيفه يوماً يريد أن يقتل رسول الله ﷺ فقال له رجل من بني زهرة: إن ختنك سعيد بن زيد وأختك فاطمة قد صبوا وتركا دينك، فمشى إليها عمر وكان عندها خبّاب بن الأرت رضي الله عنه يقرئها القرآن، فلما دخل عمر، توارى خباب، وأخذت فاطمة صحيفة من القرآن فجعلتها تحت فخذها، فقال عمر: ما هذه الهيمنة التي سمعت. . فقالت له فاطمة: ما سمعت شيئاً قال: لقد أخبرت أنكما تابعتما محمد على دينه، وبطش بختنه سعيد، فقامت إليه فاطمة لتكفه عن زوجها فضربها عمر فشج رأسها، وهنا قالت له فاطمة: قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك. . .

فلما رأى عمر ما صنع بأخته، أخذته رقة حانية وندم على ما فعل وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة فطمعت فاطمة في إسلامه وقالت: إنك يا أخي نجس على شركك، ولا يمسها إلا الطاهر. . فقام عمر فاغتسل وأعطته الصحيفة وفيها: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾[1] الآيات من صدر سورة طه. . .

فقال عمر. . ما أحسن هذا الكلام. . وحينئذ خرج خبّاب من

(١) سورة طه، الآيات: ١ ـ ٣.

مخبئه وقال: يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول: «**اللهم أيد الإسلام بأبـي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب**» فالله الله يا عمر...

فقال عمر.. دُلَّني يا خبَّاب على محمد...

فذهب عمر إلى رسول الله ﷺ ونطق بالشهادتين أمامه وأسلم...

ورضي الله عن عمر، وعن أخته فاطمة وزوجها سعيد، وعن خباب.. فقد كانوا مفاتيح الهدى في صدر الإسلام[1].

---

(١) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتلخيص وتصرف».

فاختة بنت أبـي طالب رضي الله عنها

[أم هانىء]

من فواضل نساء عصرها، شقيقة علي بن أبـي طالب رضي الله عنه أسلمت عام الفتح.

لجأ الحارث بن هشام إلى منزلها يوم فتح مكة مستجيراً بها، فدخل عليها أخوها عليٌّ، فخبرته الخبر، فأخذ السيف ليقتل به الحارث.. فقالت له فاختة: يا ابن أمي إني قد أجرته، ولم يكترث علي بقولها فوثبت فقبضت على يديه، وقالت: والله لا تقتله وقد أجرته.. فلم يقدر علي أن يرفع قدمه من الأرض.. وحاول التفلت فلم يستطع... فدخل النبـي ﷺ، فروت له ما حدث... فقال رسول الله ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت ولا تغضبـي عليا، فإن الله يغضب لغضبه، اطلقي عنه**»، فأطلقت عنه، فقال ﷺ: «**يا عليّ غلبتك إمرأة..**» فقال: والله يا رسول الله ما قدرت أن أرفع قدمي من الأرض.

وروت أم هانىء ستة وأربعون حديثاً، وروى عنها مولاها أبو مرة وعبد الله بن عباس، ومجاهد وعروة بن الزبير وغيرهم[1].

---

(١) عن «أعلام النساء» عمر رضا كحالة: «بتلخيص وتصرف».

أسماء بنت يزيد بن السّكنْ الأنصارية رضي الله عنها

[خطيبة النساء]

صحابية جليلة، ومحدثة فاضلة، ومجاهدة شجاعة، قتلت في وقعة اليرموك تسعة من الروم بعمود خبائها...

دَيِّنة عاقلة، وخطيبة مفوهة، حتى لقبوها بخطيبة النساء.. أتت النبي ﷺ يوماً وهو في نفر من أصحابه فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله.. أنا وافدة من النساء إليك، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم.. وإنكم معشر الرجال، فُضِّلتم علينا في الجُمَعْ والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو مجاهداً، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربَّينا لكم أولادكم، أفلا نشارككم في هذا الأجر؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: **«هل سمعتم بمقالة امرأة قط أحسن من مسائلها في أمر دينها من هذه؟؟»** والتفت إليها النبي ﷺ فقال: **«إفهمي أيتها المرأة، وأعْلمي مَنْ خلفك من النساء إن حُسْنَ تبعُّل المرأة لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعْدل ذلك كله»**. فانصرفت أسماء وهي تهلّل...

وروت أسماء عن النبي ﷺ واحد وثمانون حديثاً وروى عنها ابن أختها محمود بن عمرو الأنصاري، ومجاهد بن جبير وروى لها أبو داود والترمذي والنسائي، وابن ماجة ومهاجر بن أبي مسلم، وشهر بن حوشب...

رحم الله أسماء بنت يزيد، ورضي عنها، فقد أهدت إلى نساء المؤمنين، نصيحة غالية، من رسول الله ﷺ لتكون نبراساً يهتدين بها في حياتهن من أزواجهن. .[1].

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. . «بتصرف».

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنها

[من أراد الشهادة الحاضرة فليتزوج عاتكة]

شاعرة من شواعر العرب، ذات جمال وكمال وحسن خلق، تمتعت برجاحة عقلها وجزالة رأيها. . .

تزوجت عبد الله بن أبـي بكر الصديق، وكان يجلّها ويحترمها، ويتمسك بها، ولما أمره أبوه أن يطلقها، قام بتطليقها ثم توجع لفراقها، فرقَّ له أبو بكر، وهو يهيم فيها شعراً، فأمره بترجيعها، وعندما راجعها أعطاها حديقة له على أن لا تتزوج بعده، فلما مات من السهم الذي أصابه جزعت عليه جزعاً شديداً. . ثم طلبها عمر بن الخطاب، فأخبرته ما كان من أمر الحديقة وشرط عبد الله، فطلب عمر أن تستفت علي بن أبـي طالب فقال: رُدّي الحديقة على أهله وتزوجي. . فتزوجت عمر.

فلما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وانقضت عدتها تزوجها الزبير بن العوّام، وطلب منها أن لا تخرج إلى المسجد وكانت امرأة عجزاء بادنة، فقالت: يا ابن العوّام أتريد أن أدع لغيرتك مصلى صليت فيها مع رسول الله ﷺ وأبـي بكر وعمر؟ فقال: لا أمنعك. . .

فلما كان النداء لصلاة الصبح، توضأ وخرج فقام لها في سقيفة بني ساعدة، فلما مرَّت به ضرب بيده على عجيزتها، فقالت: ما لك قطع الله يدك. . ورجعت، فلما رجع من المسجد قال: يا عاتكة ما لي لم أرك في مصلاك؟ قالت: يرحمك الله أبا عبد الله، فسد الناس بعدك. . الصلاة اليوم في القيطون أفضل منها في البيت، وفي البيت أفضل منها في الحجرة. . .

ثم خطبها علي بن أبـي طالب بعد انقضاء عدتها من الزبير، فأرسلت إليه: إني لأضنَّ بك يا ابن عم رسول الله عن القتل، فكان علي بن أبـي طالب يقول: من أحبَّ الشهادة الحاضرة فليتزوج عاتكة...

ثم تزوجها الحسين بن علي، فكانت أول من رفع خدّه من التراب يوم قتل.. ثم تأيمت بعده، فكان عبد الله بن عمر يقول: من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة.

وتوفيت رضي الله عنها نحو سنة ٤٠هـ[١].

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف».

فاطمة بنت أسد بن هاشم رضي الله عنها
[أم علي بن أبـي طالب]

راويــة مـن راويــات الحـديـث.. روت عــن النبــي ﷺ ستـة وأربعون حديثاً، وكانت ذات صلاح وتقوى وكان رسول الله ﷺ دائم الزيارة لها في بيتها. وكان يحترمها ويجلها.. ولما توفيت بالمدينة ألبسها رسول الله ﷺ قميصه، فقال لـه بعض الصحابة: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه؟ فقال: إنه لم يكن أحد بعد أبـي طالب أبرُّ بـي منها.

وهي من المهاجرات الأول.. وهي هاشمية ولدت هاشميا.. رضي الله عنهم أجمعين[١].

معاذة جارية عبد الله بن أبـي بن سلول رضي الله عنها

أسلمت وبايعت النبـي ﷺ، وكانت عند عبد الله بن أبـي وكان عنده أسير.. فكان عبد الله يضربها لتمكنه من نفسها رجاء أن تحمل منه فيأخذ في ذلك فداء وهو العَرض الذي قال الله عز وجل: ﴿لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٢] وكانت معاذة تأبـى عليه وهي مسلمة.. وقال الزهري: كانت مسلمة فاضلة فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾[٣] ثم إنها عتقت وتزوجت بعد ذلك سهل بن قرطة[٤].

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.. «بتلخيص».
(٢) سورة النور، الآية: ٣٣.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٣.
(٤) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتصرف». وانظر الطبقات لابن سعد.

أميمة بنت رقيقة رضي الله عنه

راوية من راويات الحديث... روت أنها أتت رسول الله ﷺ في نسوة تبايعه، فقلنا: نبايعك يا رسول الله على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني، ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف، فقال رسول الله ﷺ: «**فيما استطعنّ وأطقتنّ**..» قالت: فقلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هلمّ نبايعك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة**»[(1)].

أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد رضي الله عنها

أسلمت وبايعت وهاجرت، وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويحسن إليها، ويزورها في بيتها، وروت عنه ﷺ خمسة أحاديث. وروى عنها ابن أم حكيم بنت الزبير، وأنس بن مالك وعبادة بن الصامت وغيرهم...

خرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازية في البحر في إمارة معاوية وخلافة عثمان، وعندما وصلوا جزيرة قبرص نزلت إلى الجزيرة فقربت إليها دابة فصرعتها فماتت في قبرص سنة ٢٧هـ رحمها الله ورضي عنها[(2)].

بُسرة بنت صفوان بن نوفل
ابن أسد القرشية رضي الله عنها

راوية من راويات الحديث.. روت عن رسول الله إحدى عشر حديثاً وروت عنها أم كلثوم بنت عقبة، ومروان بن الحكم وسعيد بن المسيب وغيرهم...

---

(١) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتصرف». وانظر الطبقات لابن سعد.

(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر «بتصرف».

وقال الشافعي: لها سابقة وهجرة قديمة، عاشت إلى ولاية معاوية[1].

زينب بنت أبـي سلمة المخزومية رضي الله عنها

محدثة فقيهة.. من أفقه النساء في عصرها...

روت عن رسول الله ﷺ سبعة أحاديث، وروى عنها ابنها أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة.. وأبو سلمة، وعروة بن الزبير وغيرهم...

وعن الحسن أنه ذكر يوم الحرة فقال: والله ما كان ينجو منهم أحد، ولقد قتل ولدي زينب بنت أبـي سلمة وهي ربيبة رسول الله ﷺ فأتيت بهما فوضعا بين يديها فقالت: والله إن المصيبة فيكما لعظيمة.. وهِي في هذا، وأومأت إلى أحدهما ـ أعظم منها في هذا ـ وأشارت إلى الآخر ـ لأن هذا بسط يده، ولست آمن عليه، وأما هذا فقعد في بيته، فدخل عليه فقتل.. فأنا أرجو الرحمة له...

وتوفيت عام ٧٣هـ.. رحمها الله رحمة واسعة ورضي عنها[2].

أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية رضي الله عنها

راوية من راويات الحديث.. أسلمت وبايعت وهاجرت فكانت رضي الله عنها، من المهاجرات الأوليات، ومن العابدات المؤمنات القانتات، روت عن رسول الله ﷺ وروى عنها مسروق.. وأخرج لها الإمام البخاري.

ولما رميت ابنتها عائشة أم المؤمنين بالإفك خرَّت مغشياً عليها، **وتوفيت رضي الله عنها بالمدينة سنة ٦هـ وقيل أربع أو خمس...**

ونزل رسول الله ﷺ قبرها واستغفر لها وقال: «**اللهم إنك تعلم ما**

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.. «بتصرف».
(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.. «بتصرف».

لقيت أم رومان فيك وفي رسولك»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «من سرَّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان. .»[1].

أم الحكم بنت أبـي سفيان رضي الله عنها

من راويات الحديث. . أدركت النبـي ﷺ وكانت ممن أسلم يوم الفتح. . بايعت رسول الله ﷺ وحدثت عن أخيها معاوية، وروى عنها ابنها عبد الرحمٰن بن عبد الله الثقفي. . .

قال أبو زرعة: فيمن حدث بالشام من النساء: أم الحكم بنت أبـي سفيان، وقال ابن سميع: من تابعي أهل الشام: أم الحكم بنت أبـي سفيان. . وكانت تسكن دمشق. .[2].

أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها

رواية من راويات حديث الرسول ﷺ أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ. . وروت عنه ستة أحاديث. . وشهدت معه ﷺ خيبر.

وروى عنها خارجة بن زيد، وعبد الملك بن عمير، وحزام بن حكيم الأنصاري. . .

وكان رسول الله ﷺ يعودها في مرضها[3].

الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس رضي الله عنها

صحابية فاضلة، كان لها من العقل والفضل وجودة الرأي ما جعل عمر بن الخطاب يقدمها في الرأي ويفضلها.

أسلمت قبل الهجرة، وهاجرت إلى المدينة فكانت من المهاجرات الأول. . وبايعت النبـي ﷺ، وقال لها النبـي ﷺ: **«علّمي**

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. . «بتصرف».
(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.
(٣) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.

حفصة رُقية النملة[1]، كما علمتها الكتابة...».

روت عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وروى عنها ابنها سليمان بن أبي خيثمة وحفيديها أبو بكر وعثمان ابنا سليمان ومولاها أبو إسحاق، وحفصة أم المؤمنين.. وروى لها أبو داود، وتوفيت رضي الله عنها سنة ٢٠ هـ[2].

خيرة بنت أبي حدرد رضي الله عنها

(أم الدرداء)

كانت من راويات الحديث، وكان لها عقل ورأي ودين وصلاح، روت عن النبي ﷺ وعن زوجها أبي الدرداء خمسة أحاديث، وروى لها بعض التابعين كصفوان بن عبد الله، وميمون بن مهران، وزيد بن أسلم وتوفيت قبل أبي الدرداء بسنتين بالشام في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[3].

خولة بنت حكيم بن أمية السلمية رضي الله عنها

من راويات الحديث إذ روت عن النبي ﷺ خمسة عشر حديثاً وروى لها الإمام مسلم، كما روى عنها سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن المسيب وغيرهم وهي من اللواتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فأرجأها...

كانت تخدم النبي ﷺ وكانت زوجة للصحابي الجليل عثمان بن مظعون رضي الله عنهما[4].

---

(١) النملة: مرض يشبه الخدر.

(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.. «بتصرف».

(٣) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.. «بتصرف».

(٤) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.. «بتلخيص وتصرف».

أم ذر الغفاري

زوجة الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري، وهي شاعرة من شواعر العرب...

قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: **«يا أبا ذر حدثني عن بدء إسلامك»**، فقال أبو ذر: كان لنا صنم يدعى «نهم» فأتيته بلبن وصببته عليه، ثم ذهبت، وإذا بكلب يشرب ذلك اللبن، فلما فرغ رفع رجله وبال على الصنم فلما أخبرت أم ذر الخبر قالت:

ألا فابغنا ربًّا كريما جوادا في الفضائل يا ابن وهب
فما من سامه كلب حقير فلم يمنع يداه لنا برب
فما عبد الحجارة غير غاو ركيك العقل ليس بأهل لب

فقال رسول الله ﷺ: **«صدقت أم ذر فما عبد الحجارة غير غاو»**[1].

الرُّبيِّع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية رضي الله عنها

صحابية جليلة، غزت مع النبي ﷺ وكانت تداوي الجرحى وتنقل القتلى إلى المدينة.. بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وروت عنه ﷺ واحداً وعشرين حديثاً.. وروى عنها عائشة بنت أنس بن مالك، وخالد بن ذكوان وغيرهم.. وروى لها البخاري ومسلم والجماعة.. **وتوفيت رضي الله عنها نحو ٤٥هـ**..[2].

أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها

من فواضل نساء عصرها.. شقيقة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها خطبها عمر بن الخطاب، لكنه لم يتزوجها...

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.. «بتلخيص وتصرف».
(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.. «مع التلخيص».

روت عنها أختها عائشة، وروى عنها إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أبـي ربيعة، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وطلحة بن يحيـى، وروى لها مسلم والترمذي. .[1].

أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية رضي الله عنها

[الشهيدة في بيتها]

صحابية فاضلة، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة.

وعندما كان الإستعداد لغزوة بدر، قالت أم ورقة: يا رسول الله. . إئذن لي في الخروج معكم، أداوي الجرحى وأمرّض المرضى، لعل الله يهدي إليَّ الشهادة. . فقال لها رسول الله ﷺ: «**إن الله يهديك الشهادة، وقرّي في بيتك فإنك شهيدة**».

وكانت قد جمعت القرآن، فأمرها النبـي ﷺ أن تؤم أهل دارها، وكان لها مؤذن. . حتى غَمَّها غلام لها وجارية لها كانت دبرتهما، أي يصبحان حرين بعد موتها، فقتلاها في إمارة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه فلما علم عمر بذلك قام في الناس فقال: إن أم ورقة غَمَّها غلامها وجاريتها فقتلاها. . وصدق الرسول ﷺ حين كان يقول: «**انطلقوا بنا نزور الشهيدة. .**» وروى عنها أهل الحديث[2].

أمية بنت قيس أبـي الصلت الغفارية رضي الله عنها

صحابية جليلة، أسلمت وبايعت بعد الهجرة. . وشهدت مع رسول الله ﷺ غزوة خيبر.

وفي نسوة من بني غفار، دخلن على رسول الله ﷺ يطلبن منه الخروج إلى خيبر. . فقال رسول الله ﷺ **على بركة الله. . .**

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. . «مع التلخيص».
(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

قالت أمية: فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت جارية حديثة سني، فأردفني حقيبة رحله فنزل إلى المصبح فأناخ فلما فتح الله على المسلمين خيبر، رضخ لنا من الفيء ولم يسهم لنا، وأخذ قلادة وعلقها بيده في عنقي فوالله لا تفارقني أبداً. . .

فكانت في عنقها حتى ماتت، وأوصت أن تدفن معها. .[1].

هند بنت عتبة بن ربيعة رضي الله عنها

[الناقمة التائبة]

من ربات الرأي والعقل. . والفصاحة والبلاغة. . والأدب والشعر.

كانت عدواً لدوداً للإسلام ورسوله. . . ثم أسلمت وحَسُنَ إسلامها، فأذاب الإسلام أحزانها وأضغانها. . وأصبحت في عداد المؤمنات الصادقات.

قتل أباها وعمها وابن عمها في بدر، فاشتعل قلبها حقداً على المسلمين، وأخذت توغر صدور قريش وتحرض رجالها ونساءها على الإنتقام والأخذ بالثأر لقتلاهم في بدر.

وكان يوم أحد، وبينما كان «أسد الله» حمزة بن عبد المطلب ـ قاتل أبيها وعمها ـ يصول ويجول في ميدان المعركة شجاعاً مقداماً، إذ تشتعل أضغان هند وأحقادها وتحرض «وحشيّ» على قتل حمزة، فيغتاله على حين غرة، ويجتمع الحاقدون على جثته وفي مقدمتهم هند يمزقونها ويمثلون بها، وينتزعون كبده من أحشائه فلاكتها هند تشفياً ثم تلفظها. . .

إن هند هذه، والتي فعلت ما فعلت. . يشرح الله صدرها

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف».

للإسلام، وما أن علمت بأن رسول الله ﷺ قد عفا عنها حتى جاءته مبايعة له وهي تقول لرسول الله ﷺ: يا رسول الله .. إني أحمد الله الذي أظهر هذا الدين.. لتمسني رحمتك، لقد جئتك مؤمنة مبايعة...

ويترفق بها الرسول الكريم، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، ويقول لها: «**مرحبا بك يا هند**» فقالت: «والله ما كان على الأرض أهل خباء أحب إليّ أن يذلوا من خبائك، ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباء أحبَّ إليَّ أن يعزّوا من خبائك». فقال لها رسول الله ﷺ: «**تبايعينني على أن لا تشركي بالله شيئاً..**» قالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذه على الرجال وسنؤتيكه...

قال: «**ولا تسرقن...**» قالت: والله إن كنت لأصيب من مال أبو سفيان وكان زوجها حاضراً ـ فقال أبو سفيان: ما مضى فأنت منه في حل...

قال رسول الله ﷺ: «**ولا تزنين..**» قالت: وهل تزني الحرّة...

قال: **ولا تقتلن أولادكن..**» قالت: قد ربيناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً، فأنت بهم أعلم.

قال: «**ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن...**».

قالت والله إن إتيان البهتان لقبيح...

قال: «**ولا تعصينني في معروف..**» قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف...

فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: «**بايعهن واستغفر لهنَّ الله**».

وغدت «هند» بعد إسلامها وبيعتها من المسلمات الصوادق، ومضت وزوجها من المجاهدين في سبيل الله وشهدت هند موقعة اليرموك وحرّضت على قتال الروم وجعلت تقول: عضّدوا الغُلفان

بسيوفكم يا معشر المسلمين. . .

وروت عن النبي ﷺ وروى عنها ابنها معاوية بن أبي سفيان، وعائشة أم المؤمنين وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1].

أم حميد الأنصارية رضي الله عنها

صحابية فاضلة، وعابدة من عابدات صدر الإسلام قالت يوماً لرسول الله ﷺ: «إني أحب الصلاة معك». فقال لها رسول الله ﷺ: «**قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاة في حجرتك، وصلاة في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاة في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي. .**».

فأمرت فبُني لها مسجد في أقصى شيء في بيتها وأظلمه فظلت تصلي فيه حتى لقيت ربها[2].

---

(١) عن: «أعلام النساء» عمر رضا كحالة.
«كرائم النساء» أحمد محمد جمال. «بتلخيص وتصرف».
(٢) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتصرف».

الفصل السادس:

نساء شهيرات (عليهن السلام)

* السيدة: بلقيس.
* السيدة: أم عمار بن ياسر.
* السيدة: أسماء بنت أبي بكر.
* السيدة: الخنساء.
* السيدة: زبيدة بنت جعفر.
* السيدة: رابعة العدوية.
* السيدة: أمامة بنت الحارث.

بـلقيـس

[الحاكمة الحازمة]

لقد قدم القرآن الكريم «بلقيس بنت اليَشْرَح» مثلاً مشرقاً للمرأة العفيفة العاقلة، والحاكمة الحازمة، وإن في قصتها لعبرة وأسوة للنساء الصالحات.

ورثت بلقيس عرش زوجها وأبيها، وما كان لها بهما حاجة، فقد اتخذت لنفسها عرشاً بديعاً وصفه الله عز وجل بالعظمة فقال: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

وكانت وقومها يعبدون الشمس من دون الله، كما شاهده، الهدهد، ووصفه لسليمان عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

وتولت المرأة الراشدة مُلْك اليمن، وعاهدت شعبها أن تحكمه بالعدل والشورى.. وقد أثبت لها القرآن الكريم هذا الخلق الكريم حين جاءها كتاب سليمان عليه السلام يدعوها فيه إلى دينه وسننه، وألقاه الهدهد بين يديها، وحولها وزراؤها ومستشاروها...

لم تأخذ بلقيس العزة بالإثم، بل قالت لهم في أدب رائع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٣.
(٢) سورة النمل، الآية: ٢٤.
(٣) سورة النمل، الآيات: ٢٩ ـ ٣١.

فلم تستبد برأيها في اتخاذ قراراتها المتعلقة بأمور رعيتها، بل طلبت مشورتهم: ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾[1].

هكذا تسألهم بلقيس الملكة، الرأي، وتؤكد أنها لا تتخذ قراراً ولا تقطع أمراً حتى يقولوا هم وجهة نظرهم، كما وعدتهم يوم اختاروها ملكة عليهم. إلا أن حاشية بلقيس، تأخذهم العزة بالقوة، فيقولون لها: ﴿نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[2].

ولم يلبثوا أن عاد إليهم هُدُوءَهُم، وهم الذين يعلمون رجاحة عقلها، ويلمسون حنكتها وحكمتها، وحرصها على مصلحة بلادها وشعبها، فيتأدبون معها ويقولون لها: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[3].

ويستمر النقاش والحوار، وتتبادل الملكة معهم الرأي والمشورة، وبسطت لهم أمر الحرب وما تجرُّه عليهم وعلى بلادها من خراب ودمار، فقالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾[4].

وكشفت لهم عن وجه الرأي، في اختبار سليمان لتعرف عمّا إذا كان ملكاً عادياً، أم رسولاً نبياً فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾[5] فإن صرفته عن قصده فهو ملك، ولنا بأسنا وقوتنا ما يكفي لدكّ عرشه، وإن ردّها وصرف عنها فعسى أن يكون نبياً يبصرنا الحجة، ويهدينا سواء السبيل.

فلما جاءت رُسُلها سليمان، بهديتها الثمينة قال: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ

---

(١) سورة النمل، الآية: ٣٢.
(٢) سورة النمل، الآية: ٣٣.
(٣) سورة النمل، الآية: ٣٣.
(٤) سورة النمل، الآية: ٣٤.
(٥) سورة النمل، الآية: ٣٥.

فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾[1].

وهنا تبين لبلقيس، أن سليمان نبـيّ مُرسل إلى جانب كونه ملكاً، وأنها لا بد أن تذهب إليه لتدخل في طاعته ودينه.

ولكن قبل مقدمها عليه، وأثناء سيرها إليه أحضر سليمان عرشها من سبأ في طرفة عين إعجازاً لها وإقناعاً بأنه نبـيٌّ مرسل.

وأقبلت بلقيس على سليمان في القدس وأخذت تنظر إلى عرشها وكلها دهشة، وكيف أحضر من سبأ في جنوب الجزيرة العربية، إلى فلسطين في شمالها. وسألها سليمان: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾[2].

فلم تجزم بأنه عرشها حذرا من الكذب أو الخطأ وهذا دليل آخر على رشادة عقلها وأدبها الجم، حتى إذا استبانت بلقيس وضح الهدى من سليمان تبدّلت بدين آبائها دين الله الإسلام، وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[3].

وكان ذلك سبيلاً إلى طمس آية المجوسية بين أرجاء اليمن...

تلك آيات من الذكر الحكيم قامت بفضل امرأة ورجاحة عقلها وسماحة رأيها...

وإن قوة الشوكة وعزة الملك لم تصرفا بلقيس عن ابتغاء الحق والدخول فيه.. إن في ذلك لذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد..[4].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٣٦.
(٢) سورة النمل، الآية: ٤٢.
(٣) سورة النمل، الآية: ٤٤.
(٤) «كرائم النساء» أحمد محمد جمال. «المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها» عبد الله عفيفي. «بتلخيص وتصرف».

سمية بنت خيَاط أم عمّار بن ياسر

[أول شهيدة في الإسلام]

إحدى السابقات إلى الإسلام، فهي إحدى ثمانية ظهروا بالإسلام في أول مرة. . .

وكان لقريش صولات وجولات بالأذى على من آمن من أولئك الضعاف، حتى لقد تجاوزوا به حد التعذيب والإيلام، إلى التفنّن في التمثيل والتنكيل.

وكانت. . سميّة أم عمار بن ياسر، رضي الله عنهما، من أولئك اللواتي استعذبن العذاب. . فكانت إذا اشتدت الظهيرة والتهبت الرمضاء خرج بنو مخزوم وألقوا بسمية وابنها عمَّار، وزوجها ياسر، إلى الصحراء، وألبسوهم دروع الحديد، وأهالوا عليهم الرمال المتقدة بحر الشمس الشديدة، وأخذوا يرضخونهم بالحجارة فاعتصمت سمية بالصبر والإيمان، وقرَّت على العذاب، وأبت أن تعطي القوم ما سألوا من الكفر بعد الإيمان.

وتمتلىء نفس النبـي ﷺ إشفاقاً وحناناً لِمَا يلقى آل ياسر من شدة العذاب، وألوانه، وينطلق لسانه الكريم بكلمات كان لها وقع المطر الذي يحيي به الله الأرض بعد موتها: «**أبشروا آل ياسر. . فإن موعدكم الجنة**». . .

إنها الجنة يا سمية. . تتزيَّن وتستعد لاستقبالكم إنها الجنة يا آل ياسر، قد بشَّركم بها رسول الله ﷺ. . فكل شيء بعد ذلك هيّن وكلُّ عذاب في سبيل الله يهون. . .

وتقوَى النفوس المؤمنة على العذاب ابتغاء رضوان الله، وشوقاً إلى جنته. . .

ويحتدم أبو جهل غيظاً لثبات هذه المرأة، القوية بإيمانها، الصلبة بعقيدتها، فيضاعف لها ولآلها العذاب. . .

وتلتفت سميّة، لترى أنفاس زوجها تتداعى من شدة العذاب، ويبتسم ياسر لسمية وهو يجود بأنفاسه الأخيرة قائلاً: إني ذاهب إليها يا سمية، إني ذاهب إلى ربـي. . ويسكن جسم الشيخ إلى يوم يبعثون. . وترمقه سمية بعينيها الدامعتين، وتلقي عليه نظرة أخيرة. . إلى رحمة الله يا ياسر، وجنته الواسعة. . .

ويرقب أبو جهل هذا الموقف المهيب، والشماتة والفرحة تملآن عينيه، وتنظر إليه سمية باستخفاف واستعلاء ولسانها يلهج ببعض آيات من الذكر الحكيم، ويتناول أبو جهل حربته، ويرمي بها سمية، وتخترق الحربة جسمها الطاهر، وهي تقول لابنها عمار: إلى اللقاء في جنة الله الواسعة يا بني. . .

لقد قتل أبو جهل سمية لأنها رفضت أن تخضع إلا لله: ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾[1].

ويخفق الصدر الكريم أنفاسه الأخيرة، ويردد الكون مع أول شهيدة في الإسلام: لا إله إلا الله. . محمد رسول الله[2].

---

(١) سورة البروج، الآية: ٨.
(٢) «المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها» عبد الله عفيفي. «بتلخيص وتصرف».

أسماء بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنها
[ذات النطاقين]

مهاجرة جليلة، عرفت برجاحة عقلها، وعفتها وعزة نفسها، وقوة إرادتها، وحسن معاشرتها، وحلو حديثها، ومنطق بيانها شعراً ونثراً. . .

أسلمت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قديماً بعد إسلام سبعة عشر نفراً، وبايعت النبي ﷺ وآمنت به إيماناً قوياً. . .

ومن حُسن إسلامها، أن قُتيلة بنت عبد العزي قدمت على ابنتها أسماء «وكان أبوها أبو بكر قد طلقها في الجاهلية» بهدايا زبيب وسمن وقرط، فأبت أن تقبل هديتها، فأرسلت أختها لأبيها عائشة: سَلي رسول الله. . فقال ﷺ: **«لتدخل بيتها ولتقبل هديتها»**.

وعندما احتمل أبو بكر معه كل ماله، عند خروجه مهاجراً مع رسول الله ﷺ دخل عليها جدها أبو قحافة وقد كبرت سنه وذهب بصره، فقال لها: والله إني لأراه قد فجعكم بماله، كما فجعكم بنفسه. . فقالت له: كلاّ يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً فأخذت أحجاراً فوضعتها في المكان الذي كان يضع أباها فيه المال ووضعت عليها ثوباً وأخذت بيده فوضعتها على الحجارة على أنه مال تركه أبوها، فقال لها: لا بأس وبهذا استطاعت أن تسكن رُوع هذا الشيخ. . .

كانت أسماء، وستظل من المثل العليا للمرأة المسلمة، والزوجة المخلصة. . شاركت زوجها في رضا وطمأنينة، عسر الحياة ويسرها، وهي تؤمن بأن ذلك واجبها. . فقد تزوجت من الزبير بن العوام رضي الله عنه، حواريّ رسول الله ﷺ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،

وكان فقيراً لا مورد له، فكانت أسماء ـ الزوجة ـ مع دلالها وجاهها في بيت أبيها أبو بكر الثري، تعلف فرس زوجها وجمله، وتدق له النوى بيدها، وتستسقي الماء وتملأ الدلو للعجين، وتحمل على رأسها علف الدواب مسافة بعيدة.. وما زال هذا شأنها حتى بعث لها أبوها بجارية كفتها خدمة الفرس والجمل.

وكانت على فقر زوجها، ويسار أبيها، زاهدة سمحة، تفعل الخير، وتصنع البر، وكانت توصي نساءها وتقول لبناتها: أنفقن ولا تنتظرن الفضل.

وروت أسماء عن النبي ﷺ: (٥٨) حديثاً وقيل: (٥٦) حديثاً اتفق البخاري ومسلم على (١٤) حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وانفرد مسلم بمثلها.. وفي رواية: أخرج لأسماء من الأحاديث في الصحيحين (٢٢) حديثاً المتفق عليه منها (١٣) وللبخاري خمسة ولمسلم أربعة.

وعاشت أسماء بنت أبي بكر عمراً طويلاً شهدت خلاله دولا تدول، وفتنا تضطرب وحروباً تتلظى، فكانت لها فترتان، الأولى فترة الشباب والفتوة، والأخرى فترة الشيخوخة والحكمة، دعيت بذات النطاقين، لأنها أخذت نطاقها فشقته شطرين، فجعلت واحد لسفرة رسول الله ﷺ والآخر عصاماً لقربته ليلة خروجه ﷺ وأبو بكر إلى الغار...

وكانت أسماء هي تعرف وحدها بالملجأ الذي آوى إليه الصاحبان، والخبيرة وحدها بالطرق التي سلكوها إليه فكانت تحمل إليهما كل عشية شيئاً من الطعام وبعض الشراب، وكانت إلى جانب ذلك تستطلع أخبار قريش لتطمئن على سلامة المهاجريْن الكريميْن وأمنهما، فكان أخوها عبد الله يأتيها بما يسمعه من أخبار وتربصات للأعداء، وهي بدورها تنقلها إلى الصاحبيْن المهاجريْن...

جاءها أبو جهل وطرق بابها، وهي تعلم شدة جبروته وبطشه، ويسألها عن محمد وأبيها، فتجيبه في شجاعة الفتاة المؤمنة: بأنها لا تعلم عنهما شيئاً، فيشتعل غضباً، وينفجر حقده بلطمة عنيفة من يده الكافرة على وجهها الطاهر...

وبلغ رسول الله ﷺ مأمنه مع صاحبه إلى المدينة، ولحقت بهما أسماء، وولدت في قباء أول مولود في الإسلام بعد الهجرة: عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

شهدت أسماء وقعة اليرموك مع زوجها وأبلت فيها بلاءً حسناً...

وطال بها العمر حتى كفَّ بصرها وها هي تشهد الخلاف بين ولدها «عبد الله» وبين الخليفة الأموي، عبد الملك بن مروان. ويهجم جيش الحجاج على مشارف أم القرى، ويمضي عبد الله بن الزبير في جهاده للحجاج وكفاحه أمام جبروته وصولجانه، فيخذله قومه وعشيرته، ويغريه الحجاج بامارة مكة إذا هو كف عن القتال وبايع عبد الملك بن مروان ويذهب عبد الله إلى أمه، يستشيرها، وهنا يظهر مضاء عزيمتها، وشجاعتها، فتأبى عليه أن يتخاذل مع علمها بتخلي قومه عنه، وتقول له: «لا يلعبنَّ بك صبيان بني أميّة، عش كريما، ومت كريما، والله إني لأرجو أن يكون عزائي فيك حسناً بعد أن تقدمتني أو تقدمتك، فإن في نفسي منك حرجاً حتى أنظر إلى ما يصير من أمرك... ثم قالت له: كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن ما يقنع به ابن الزبير، والله لضربة سيف في عز، أحب إلى الله من ضربة بسوط ثم توجهت إلى ربها داعية: اللهم إرحم طول ذاك النحيب والظماء في هواجر المدينة، وبرّه بأمّه، اللهم إني قد أسلمت فيه لأمرك، ورضيت فيه بقضائك، فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين»...

وكأنما أحسَّ عبد الله بمصيره، فقال لأمه: إنه يخشى أن يمثل به

الأعداء بعد أن يقتلوه فتقول كلمتها الخالدة: «يا عبد الله. . إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها».

وثبت عبد الله، في وجه الطاغية ـ الحجاج ـ حتى قتلوه ثم صلبوه. . فكانت أمُّه أسماء تمرّ بجثته وتتلمسها بيدها، صابرة محتسبة، جريئة القلب واللسان، إذ كانت تهتف: «أمَا آن لهذا الفارس أن يترجّل».

فكان تجلّدها وسخريتها أشد غيظاً للحجاج على جبروته وعنفوانه، فقال لأسماء: كيف رأيتيني صنعت بابنك، فقالت: «أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك». . .

وتوفّيت أسماء بمكة بعد قتل ابنها بليال سنة ٧٣هـ ولها من العمر مائة سنة، لم يسقط لها سن، ولم يُنكر لها عقل. . .

رضي الله عنك يا أسماء ورحمك، مؤمنة صادقة، ومجاهدة صابرة، وزوجة مخلصة شاركت زوجك ضنك الحياة وكبدها، ورحمك أمّا خير قدوة لكل أم، فقد ربّيت أولادك على الشهامة والعفة وعزة النفس، وغرست فيهم كل أصول الأدب والتهذيب[١].

---

(١) «كرائم النساء» أحمد محمد جمال. «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.
«الداعية زينب الغزالي مسيرة وجهاد» اعداد ابن الهاشمي.
«بتلخيص وتصرف».

الخنســـاء

[أم الشهداء]

هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، وتدعى الخنساء. . .

شاعرة شهيرة. . وصحابية جليلة، من أعز البيوت العربية نسباً، وأكرمها حسبا. . قدمت على رسول الله ﷺ مع قومها من بني سليم وأسلمت معهم. . .

وكان للخنساء أخوان «معاوية وصخر» تخصهما بحب غامر، وقد قتلا، فظلت الخنساء باكية والهة ملتاعة عليهما، حتى ملأت دنيا العرب بمراثيها الدامعة.

لقد بكت الخنساء طويلاً قبل إسلامها، فلما أسلمت، هوَّن الإسلام عليها خطبها، وأبرد باليقين قلبها، فخرجت من عند رسول الله ﷺ وقد امتلأ صدرها إيماناً وصبراً. . لكنها ظلت راثية باكية أخويها، دون أن تلطم خداً، أو تشق جيباً، فقد حرّم الإسلام عليها ذلك.

حتى كان عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقدمت عليه، وبكت عنده، فقال لها: ما أقرح مآقي عينيك؟!! فقالت: بكائي على السادات من مضر قال: يا خنساء إنهم في النار. قالت: ذاك أطول لعويلي عليهم.

وراحت الخنساء بعد ذلك تشارك المسلمات في نشر دعوة الإسلام والجهاد في سبيله، حتى دفنت أولادها الأربعة في معركة

واحدة في وقت واحد. . .

أجل. . إنها حرب القادسية، وقد حضرت الخنساء واشتركت فيها بأبنائها الأربعة. . .

وقبل أن ينزلوا ساحة الوغى، جمعتهم، وأخذت تحثهم وتشحذ عزائمهم، وتثير حماسهم قائلة لهم: «يا بنيّ: إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجنت حسبكم، ولا غيّرت نسبكم، ولا خنت أباكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون». «يا بنيَّ. . إذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدُوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، وإذا رأيتم الحرب شمَّرت عن ساقيها، واضطربت لظىً على سياقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها، تظفروا بالغُنم والكرامة، في دار الخلد والكرامة».

يا لروعة الإسلام، وقوة الإيمان، وجمال الصبر. . لقد ملأت الخنساء الدنيا بكاء ولوعة على أخويها في جاهليتها وبداية إسلامها، ثم ينقلب هلعها وجزعها، إلى إيمان وصبر فتدفع أولادها الأربعة إلى القتال والاستشهاد!!

واحتدم وطيس الحرب، وتقدم أبناؤها الأربعة، واشتدوا على عدوهم، غير مبالين بالموت. . حتى قضوا نحبهم جميعاً. . .

وها نحن نَرقب الخنساء حين يبلغها الخبر، إن قوة الإيمان، تشع نوراً، يبدو على محيَّاها. . وسيق الخبر إليها. . فلم تجزع وقالت وبرد اليقين يملأ جوانبها: «الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».

لم تجزع الخنساء ـ الأم ـ فإن غرُبت الشمس هنا بأبنائها الأربعة،

فإنها توشك هناك على الشروق في آفاق الفردوس الأعلى. . وأنهم سوف يقدموها على بوارق أنهار الجنة، وهي تختال وتفاخر باستشهادهم. . .

لقد كانت الخنساء مثالاً، يحتذى، للمرأة الحرّة الكريمة والأخت المحبّة الوفيّة، والزوجة الأبيّة الأمينة، والأم الحازمة التي ربَّت أولادها على الصبر والجهاد، والخير والإيمان. . .

وتوفيت رضي الله عنها بالبادية في أول خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٣٤هـ[١].

(١) «كرائم النساء» أحمد محمد جمال. «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

زبيدة بنت جعفر

[الحفيدة الهاشمية خالدة الذّكر]

من أجلّ نساء الإسلام ذكراً، هي كوكب السحر في سماء العظائم، .. كانت حياتها صفحة عظيمة من صفحات التاريخ الإسلامي...

أمّا وفور فضلها وسماح يدها، وعظمة قلبها، ونفاد لبّها، وصفاء قريحتها مما سار مضرب الأمثال، فذلك ميراث أمهاتها من عقائل قريش وسلائل بني هاشم.. إذ كانت من ذوات البرّ والإحسان، ولها من عظائم الأعمال والخيرات ما يجعلها من أمهات المحسنين في الإسلام.

إنها زبيدة بنت جعفر، ربيبة قصور الخلفاء، فجدها المنصور، وعمها المهديّ، وزوجها الرشيد، وابنها محمد الأمين...

كان جدّها المنصور يؤثرها بحب غامر، ويناديها: «أنت كالزبد بيضاء بل أنت زبيدة» فغلب عليها هذا اللقب وغدت زبيدة شابة غضة، ذات طرف خفي ونفس جذابة، وتزف إلى ابن عمها، هارون الرشيد، فوجد فيها الزوجة الوفية، والسّكن الودود، وكان لها في قلبه مكان كبير اتسع لنصحها ومشورتها عندما استوى على أعظم عرش عرفه تاريخ العرب في تلك العصور.

ومرّت الأعوام سعيدة هانئة، وولدت له الأمين، إلى أن دخلت قصر الرشيد الجواري المُهْدَيَات، وفيهن الحِسَان من قصور الأكاسرة والقياصرة، فضاق صدر زبيدة بهن كأية امرأة، لكنها احتملت وصابرت على غيرتهن وتنافسهن على قلب الرشيد...

وبرغم ذلك كله لبثت زبيدة ربّة القول والفصل في قلبه وقصره ودولته...

وهداها صبرها إلى عمل جليل، فقد اتخذت من جواريها مائة علمتهن القرآن الكريم، وكان يسمع لترتيلهنّ في قصرها دويًّا كدوِيّ، النحل فكانت تجد في الاستماع إلى آيات القرآن برداً وسكينة.

ومات الرشيد.. سنّة الله في خلقه.. وتولى ابنها ولي عهده الملك من بعده، ولكن الفتنة اللعينة التي أثارها المرجفون من شيعة المأمون، أشعلت نار العداء والصراع بين الأخويْن «الأمين والمأمون» أخوه لأبيه.

وكان حتماً أن يصيب الصراع أحد الأخوين، وزبيدة وإن كان الأمين ولدها الحبيب، إلا أنها لا تريد للمأمون مصيراً لا ترضاه للأمين.. وكانت على شبه اليقين أن ابنها هو الظافر في صراعه مع أخيه.. لذلك فقد أوصت القائد: علي بن عيسى، الذي سيخرج للقاء جيش المأمون بوصية سجلها التاريخ، دليلاً على نقاء سريرتها، وعلوّ همتها، وعظمة أصلها، وكريم أخلاقها.. قالت: «يا عليّ: إن أمير المؤمنين وإن كان ولدي فإني على «المأمون» متعطفة مشفقة لما يحدث له من مكروه وأذى، فاعرف للمأمون حقه على أخيه الأمين، ولا تقتسره اقتسار العبيد، ولا توهنه بقيد أو غل، ولا تُعْنف عليه في السير، ولا تساوِهِ في المسير، ولا تركب قبله، وخذ بركابه إذا ركب».

ولكن ظن زبيدة قد خاب، وكان القتيل في صراع الأخويْن هو الأمين، ولم يكن للمؤمون يد في قتله، وإنما طاش سهم أحد قادته فأرداه قتيلاً... ويدخل المأمون على زبيدة، معزّياً، ويقول لها: «يا ستّاه.. لا تحزني فإني لك عِوَض الأمين». وترد عليه رداً حصيفاً: كيف لا آسَى على ولد خلف أخا مثلك؟!!

وراحت تبكي بمرارة حتى أبكت المأمون.. وعاشت بعد ذلك آسية حزينة، في حداد دائم على ابنها.. ثم وجدت في الحج إلى بيت الله الحرام أعظم السلوى وأحسن العزاء.. وجهزت نفسها للرحيل إلى مهبط الوحي، ومنزل القرآن، وأرض الرسول الكريم

عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ولاحظت زبيدة الناس والحجيج في مكة ظماء إلى الماء عطاشاً إلى قطرة منه، يشترون الراوية منه بدينار فتأسى لذلك وتبكي وتقسم صادقة أن تبذل كل ما تملك لتوفر الماء لسكان أم القرى وحجاجها...

ولقد أظهرت زبيدة أثناء حجها من المبرّات والحسنات ما لا يدع لقائل قولاً، ولا لمفتخر سبيلا، مما ابتنته في طريق مكة من مساجد ومكاتب وملاجىء ومنازل ومشارب فكل ذلك ألسنة تنطق بخيرها العميم أبد الدَّهر، وما كان ذلك كلّه إذا قيس بمفخرتها الخالدة «عين زبيدة» شيئاً مذكوراً فقد حملت هذه العين ماء الحياة سائغة هنيئة إلى أم القرى مُتَّجه أبصار المسلمين، ومعقد آمال الموحدين.. وبتلك العين التي احتفرتها وفّرت العناء واحتمال ضروب المشقات على مئات الألوف من حجاج بيت الله الحرامِ الذين كانوا يحتملون من قرب الماء ما يؤودهم ويوقر ظهورهم، فلو فَنى ذكرها من جميع الأمصار وتناسى الناس صيتها في جميع الأقطار فسوف يبقى اسمها خالداً خافق اللواء إلى ما شاء الله في ذلك الوادي المقدس. ملتقى ضيوف الرحمٰن وهم يصعدون فوق مرتقى رحمته وتجول دموعهم في مآقيهم وهم يهتفون بصوت واحد: «لبيك اللهم لبيك» فإذا أظمأتهم مواقفهم، فمن ذلك المنهل الطاهر نُهلة ريقهم وبلال أكبادهم.

ذلك هو أثر المرأة الخالد، ما بقي الزمان ناطقاً بفضلها شاهداً على إيمانها وإحسانها.. فإن مضت كما يمضي الناس، فسوف تظل زبيدة في ضمير التاريخ، من الأميرات الجليلات اللواتي يفتخر الإسلام بهنّ على الدوام[١].

---

(١) «كرائم النساء» أحمد محمد جمال. «شهيرات النساء في العالم الإسلامي» قدرية حسين. «المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها»: عبد الله عفيفي. «بتلخيص وتصرف».

رابعة العدويّة

[العابدة الزاهدة]

تدعى أم الخير بنت إسماعيل.. وهي سيدة جليلة كانت مثلاً بارزاً في سيرة النساء الصالحات العابدات القانتات الزاهدات. بل فاقت نساء زمانها زهداً وتقوى وفضلاً ومعرفة، وعلماً وأدباً.

كان يزورها العلماء والأتقياء، ويجدون في صلاحها وتقواها، ودوام تعبدها راحة لأنفسهم، وتذكيراً لهم بالله. أجل.. إنها رابعة العدوية.. أوقعها قدرها في أسر رجل ظالم، احتبسها زمناً طويلاً، ثم باعها إلى رجل آخر لم يكن أقل قسوة من سابقه، غير أنها احتملت وصبرت وصابرت، حتى جعل الله من كربها فرجاً ومن ضيقها مخرجاً، إذ نظر إليها سيدها ذات يوم وهي في غرفتها فرآها عابدة خاشعة، تعتذر إلى ربها عن تقصيرها في عبادته، وقعودها عن ذكره، وتشكو إليه عجزها عن الوفاء بحقوقه، لأنها أسيرة لا تملك من أمر نفسها شيئاً فألقى الله في قلب سيدها رحمة ورأفة بها، وإعجاباً بِحُسنِ عبادتها، فأطلق سراحها، فتركت دار سيدها لتعيش من عمل يدها، وتتفرغ للعبادة حرّة من كل قيد طليقة من كل لسان...

شكا إليها يوماً أحد الصوفيين حال الدنيا وفنائها وزوالها، فقالت له وهي تعلّمه التصوف الحقيقي: إنك يا هذا تكثر من ذكر الدنيا، وترددها على لسانك فأنت مفتون بها، مشغول بمحاسنها، فلم قطعت صلتك بها، لما تحدثت عن محاسنها أو مساوئها.

كانت رابعة زاهدة قانعة، ترد كل ما يعطيها الناس قائلة: «ما لي بالدنيا من حاجة»...

جاءها أحدهم بعطاء سخيّ فقالت له: ألا تعلم أن الله يرزق حتى عباده الذين هم عنه لاهون، فما بالك بمن له ذاكرون؟ وكيف أقبل هديتك ولا أعلم كيف اكتسبت مالك أمن حلال أم حرام؟ . . .

سئلت يوماً: هل يتوب الله على عباده النادمين؟

فأجابت: إن الله لم يعط الندامة لعباده إلا أن ليتوبوا فما دام قد أشعرهم بالندامة، وألقى إليهم حسن التوبة، فقد ضمن لهم واسع الغفران.

قالت يوماً لبعض زوارها: إنما يشغل بالي ثلاثة أمور:

الأول: هل أموت على إيمان كامل؟

الثاني: هل أنال صحيفتي بيدي اليمنى يوم الحساب؟

الثالث: لا أدري مع أي فريق أكون يوم الحشر. . . أمع الذاهبين إلى الجنة، أم مع الهالكين في النار؟ وليس صحيحاً ما نسب إليها من أنها نشأت متبرجة خليعة عاصية، وليس صحيحاً ما رتبوه على زهدها من معان فاسدة كالعشق الإلهي والغناء في الله وما إلى ذلك من المبالغات الصوفية، فالله سبحانه وتعالى متعال عن خلقه بائن عنهم لا تدركه الأبصار.

عندما حضرتها الوفاة دعت خادمتها وقالت لها: لا تؤذيني بموتي وكفِّنِيني في جُبَّتي هذه «هي جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون» فكفَّنَتْها خادمتها في تلك الجبة وفي خمار من صوف كانت تلبسه ثم دفنت في بيت المقدس سنة ١٣٥هـ.

رحم الله رابعة العدوية، وتقبلها عنده في أصحاب الجنة، فقد أفْنَتْ حياتها في العبادة وتربية النفس على الصَّلاح والتقوى، فكانت نموذجاً فريداً في النساء المسلمات، المؤمنات العابدات، الزاهدات القانتات[١].

---

(١) «نساء زاهدات» محمد خير يوسف.

أمامة بنت الحارث

[صاحبة الوصية المشهورة]

من ربات الفصاحة والبلاغة، والرأي والعقل.. خطب الحارث بن عمرو ملك كنده إبنتها، فزوجها أبوها منه، فقالت أمامة لإبنتها: إن الوصية لو تركت لفضل أدب، لتركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل.. أي بنية.. إن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.. أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة، يكن لك عبداً وشيكاً...

يا بنية: إحملي عني عشر خصال، تكن لك ذخراً وذكراً: الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينيه والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عنه عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مبغضة، والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم حصن التدبير.

ولا تفشي له سرّاً، ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سرّه، لم تأمنى غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.. ثم اتقي بعد ذلك الفرح إن كان تَرِحاً، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً، فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير،.. وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً

يكن أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له موافقة. . . واعلمي أنك تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت. والله يخير لك. . .

فحملت ابنتها منه، فعظم موقعها عنده وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا اليمن بعده. .[1].

---

(١) «نساء فاضلات» عبد البديع صقر.

الفصـل السـابـع:

نســاء تـابعيـات

* السيدة: عائشة بنت طلحة بن عبيد الله.
* السيدة: هجيمة بنت حُيَـي الأوصابية.
* السيدة: عمرة بنت عبد الرحمٰن بن زرارة.
* السيدة: عائشة بنت علي بن أبـي الفتح.
* السيدة: شهدة بنت أحمد بن الدينورية.
* السيدة: صفية بنت أبـي بكر بن أيوب.
* السيدة: عائشة بنت محمد المقدسية.
* السيدة: خناثة بنت بكار المغافري.
* السيدة: فاطمة بنت عبد الله بن المتوكل على الله.
* السيدة: زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم.
* السيدة: سيدة بنت عبد الغني العبدري.

* السيدة: فاطمة بنت أسعد الخليل.
* السيدة: ست الملك بنت العزيز بالله الفاطمي.
* السيدة: فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي.
* السيدة: فاطمة بنت محمد الديروطي.
* السيدة: أميرة بلخ.
* السيدة: صفية بنت شيبة بن عثمان بن أبـي طلحة.
* السيدة: كريمة بنت محمد بن حاتم.
* السيدة: الخيزران: أم هارون الرشيد.
* السيدة: فاطمة بنت عبد الملك بن مروان.
* السيدة: قطر الندى.. زوجة الخليفة المعتضد.
* السيدة: خوند تتر بنت محمد بن قلاوون.
* السيدة: هند بنت النعمان بن بشير.
* السيدة: مزينة بنت مروان بن محمد الأموي.
* السيدة: فاطمة بنت محمد بن الحسين.
* السيدة: عاتكة بنت يزيد بن معاوية.
* السيدة: عائشة بنت يوسف الباعونية.

عائشة بنت طلحة بن عبيد الله

من أندر نساء عصرها عفة وأدباً وحسناً وهيئة تزوجت بعبد الله بن عبد الرحمن بن أبـي بكر الصديق، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه.. ثم تزوجها مصعب بن الزبير ونالت عائشة من مصعب وقالت: عليَّ كظهر أمي، وجَهِد مصعب أن تكلمه، فأبت، فاحتكما إلى الشُّعبـي فقيه أهل العراق، فقال: ليس هذا بشيء.

ولما قتل مصعب تزوجت عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي ومكثت معه ثمان سنوات ثم مات، فندبته قائمة، فقيل لها في ذلك، فقالت: إنه كان أكرمهم عليّ وأمسّهم رحماً، وأردت أن لا أتزوج بعده.

فلما تأيمت كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة...

وروت عائشة عن خالتها أم المؤمنين، وروى عنها طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبـي بكر الصديق وابن أخيها طلحة بن يحيـى وعطاء بن أبـي رباح وغيرهم.. وروى لها الجماعة.. وقال يحيـى بن معين: عائشة ثقة حجة.. وقال العجيلي: مدنية تابعية ثقة، وذكرها ابن حبان في الثقات..[1].

هَجَيمة بنت حُيَـي الأوصابية الدمشقية

[أم الدرداء الصغرى]

فقيهة عالمة، وعابدة عاملة، وزاهدة متقشفة، كانت في حجر أبـي الدرداء، فلما توفي خطبها معاوية بن أبـي سفيان فقالت: لا والله لا أتزوج في الدنيا حتى أتزوج أبو الدرداء، إن شاء الله في الجنة...

كـانت معظمة عند بني أمية تقيـم ستة أشهر في بيت المقدس

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر «بتلخيص وتصرف».

وستة أشهر في دمشق. . .

وقال عون بن عبد الله: كنا نجلس إلى أم الدرداء فنذكر الله عندها فقالوا: لعلنا قد أمللْنَاك؟ فقالت: تزعمون أنكم أمللتوني فقد طلبت العبادة في كل شيء، فما وجدت شيئاً أشفى لصدري، من مجالس الذكر. . .

وقالت: أفضل العلم المعرفة. . تعلموا الحكمة صغاراً تعلموا بها كباراً، وإن كل زارع حاصد ما زرع من خير أو شر. . .

وقالت: ما بال أحدكم يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن الله لا يمطر عليه من السماء ديناراً ولا درهماً. وإنما يرزق بعضكم من بعض، فمن أعطى شيئاً فليتقبله، فإن كان غنياً فليضعه في ذي الحاجة من إخوانه، وإن كان فقيراً فليستعن به على حاجته، ولا يرد على الله رزقه. . .

قال رجل لها: إني لأجد في قلبي داء لا أجد له دواء وأجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً، فقالت له: إطلع في القبور واشهد الموتى. . فإنما الوجل في قلب ابن آدم كاحتراق السعفة عندما يجد لها قشعريرة.

وكانت النساء يتعبدن مع أم الدرداء، فإذا ضعفن عن القيام في الصلاة تعلقن بالحبال.

وروت الكثير عن أبي الدرداء وسلمان الفارسي وأبي هريرة وكعب بن عاصم الأشعري، وعائشة أم المؤمنين. . .

وروى عنها كثيرون. . منهم: جبير بن مطعم، وأبو حازم بن دينار واسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وابن أخيها مهدي بن عبد الرحمـٰن، ومولاها أبو عمران الأنصاري، وغيرهم كثير. . .

روى لها مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

وتوفيت رحمها الله بعد سنة ٨١هـ[١].

---

(١) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتلخيص وتصرف».

عُمرة بنت عبد الرحمٰن بن أسعد بن زرارة

محدثة وعالمة فقيهة.. حفظت عن عائشة أم المؤمنين الكثير فقد كانت في حجرها.

روت عن حمنة بنت جحش، وأم سلمة، وحبيبة بنت سهل وغيرهم. وروى عنها عروة بن الزبير وأخوها محمد بن عبد الرحمٰن، وولديها وغيرهم.. وقال عبد العزيز: ما بقي أحد أعلم بحديث عائشة من عُمرة... وقال ابن سعد.. إن عمرة عالمة...

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبـي بكر بن محمد بن حزم أن أنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو من سنَّة ماضيه، أو حديث عُمرة، فاكتبه فإني خشيت دروس العلم، وذهاب أهله...

وروى لها الجماعة، **توفيت سنة ٩٨هـ**(١).

عائشة بنت علي بن محمد بن أبـي الفتح

ولدت بالقاهرة سنة ٧٦١هـ.

وهي عالمة جليلة ذات دين وتقوى، حدثت وسمع عليها الأئمة، زارت بيت المقدس والخليل وحدثت فيهما وأخذ عنها بعض الأعيان...

كانت سريعة الحفظ على جانب كبير من الذكاء، مستحضرة للسيرة النبوية ـ تكاد تذكر الغزوة بتمامها ـ تطالع كتب الفقه فتفهم، وتحفظ شعراً كثيراً، كما كانت تحفظ أغلب السيرة النبوية لابن الفرات، وسلوان المطاع لابن ظفر، وكانت تذاكر ـ أي تدارس ـ به.

كانت عائشة بنت علي من صباها، خيرة ديّنة ملازمة للصلاة والعبادة والأذكار، **حتى توفيت سنة ٨٤٠هـ**(٢).

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف.»

(٢) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. مع «التلخيص والتصرف».

شهدة بنت أحمد بن الدينورية

عالمة جليلة، وكاتبة مجيدة، ذات صلاح ودين، وبر وإحسان. . ولدت في بغداد، وسمعت من كبار علماء عصرها، أمثال أبي الخطاب نصر بن أحمد، وأبي بكر محمد بن أحمد الشاشي، وثابت بن بندار. . ابن الجوزي وسمع منها علي بن هبة الله الشافعي وروى عنها عبد الرحمٰن بن عبد الوهاب الحنبلي الجزء الرابع من أمالي المحاملي، وسمع عليها يونس بن سعيد بن مافر بن جميل القطان المقري كتاب محاسبة النفس لابن أبي الدنيا.

وروت لإبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي. والجزء التاسع من فوائد عثمان بن أحمد بن عبد الله الدقاق. . .

وتوفيت رحمها الله، ببغداد في ١٣ محرم سنة ٥٧٤هـ وقد نيفت على تسعين سنة من عمرها[١].

صفية بنت أبي بكر بن أيوب

أميرة جليلة، ولدت بقلعة حلب سنة ٥٨٢هـ.

وهي بنت الملك العادل ابن أبي بكر بن أيوب. . ملكت مدينة حلب بعد وفاة ابنها الملك العزيز، وكانت ذو شخصية تتصرف في الحكم كأشهر السلاطين، فقامت بمملكتها خير قيام خلال ست سنوات، فأنشأت بحلب مدرسة الفردوس ووقفت عليها أوقافاً، ورتبت فيها جماعة من القراء والفقهاء. كما ابتنت مسجداً، فخم البناء واسع الأرجاء، يعد في مقدمة الدور الأثرية التي يقصدها الزوار، فيدهشون من روعته وبهائه[٢].

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. بتلخيص.

(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

عائشة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسية

محدثة جليلة ذات سند قويم.. روت عن أبـي العباس الحجار صحيح البخاري بالسماع.. وتفردت بذلك.. وسمعت صحيح مسلم على جماعة من أصحاب أبـي العباس بن عبد الدائم وحدثت بالكثير من مسموعاتها وأخذ عنها الأئمة... وكانت سهلة في الإسماع لينة الجانب.

روى عنها الحافظ ابن حجر، وقرأ عليها كتباً عديدة كصحيح البخاري وقرىء عليها الحديث المسلسل بالأولية ومن مسند الدارميّ...

وأجازت لأبـي الفتح العثماني مروياتها.. **وتوفيت** رحمها الله **سنة ٨١٦هـ**(١).

خناثة بنت بكار المغافري

فقيهة عالمة أديبة.. كانت ذات دين وصلاح، وبرّ وإحسان، تميزت برجاحة العقل ومتانة الديّن.. فهي من المسلمات المؤمنات القانتات، المستجمعات للأوصاف التي أعد الله لهن مغفرة وأجراً عظيماً.. وكان لها كلاماً ورأي وتدبير مع زوجها «سلطان المغرب» وكانت له نعم البطانة الصالحة تأمره بالخير وتحرضه عليه، وتتوسط عنده في حوائج الناس، ويقصد بابها ذوو الحاجات وأهل الحياء. غادرت مكناس إلى الحجاز، زارت المدينة، ثم عكفت إلى مكة، وبذلت وأعطت أموالاً كثيرة للفقراء، واشترت داراً بباب العمرة ووقفتها على طلبة العلم وعلى مدرس يدرس صحيح البخاري **وتوفيت بفاس في المغرب سنة ١١٥٩هـ**(٢).

---

(١) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتصرف».
(٢) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتصرف».

فاطمة بنت عبد الله بن المتوكل على الله المطهر الحسني

سيدة من ربات النبل والشرف، والفطنة والدين والصلاح كانت لها معرفة بما تحتاج إليه من العلوم.. فقرأت بعض الكتب في أصول الدين، وكانت تقرأ القرآن العظيم كل يوم سبعة أجزاء...

وتزوجها الإمام المتوكل على الله يحيى بن شرف الدين فكانت تعارضه في جامع الأصول، وتشاركه في حل المشكلات، **وتوفيت سنة ٩١٠هـ، ودفنت في مسجد الوشلي بصنعاء**[١].

زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم

محدثة جليلة.. ولدت سنة ٦٤٦هـ...

وسمعت من محمد بن عبد الهادي وأحمد بن عبد الدائم وغيرهم وأجاز لها الذكي المنذري وأبو علي البكري وآخرون...

وسمع عليها محمد الواني.. وسمع عنها الرحالة ابن بطوطة وأخبر عنها إبراهيم الكتاني، وعبد الرحمٰن بن أحمد الذهبي وقرىء عليها من الكتب والأجزاء نحواً من أربعين كتاباً[٢].

سيدة بنت عبد الغنى العَبْدري

عالمة جليلة وحافظة متقنة للقرآن الكريم.. وتلقت بعض العلوم واجتمعت بالأندية العلمية، وجوَّدت الخط وكانت تعلم النساء، ونسخت بخطها مراراً إحياء علوم الدين للغزالي وغيرها من المؤلفات الأدبية والأخلاقية...

وظلت مثابرة على تعليمها وعبادتها حتى أقعدت ثلاثة أعوام وأنابت عنها في التعليم ابنتيها.

---

(١) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتصرف».

(٢) «نساء فاضلات» عمر رضا كحالة. «بتصرف».

وكانت رحمها الله تتصدق بكل ما كانت تتقاضاه من أجر تعليمها لفقراء المسلمين. . **وتوفيت بتونس سنة ٦٤٧هـ**[١].

فاطمة بنت أسعد الخليل

من فواضل نساء عصرها، عالمة فاضلة. . ذات ذكاء وكياسة، حفظت القرآن الكريم، ودرست التفاسير الكثيرة، وأخذت الدروس الفقهية والنحو والصرف والبلاغة والبيان على أشهر علماء عصرها. . حتى فاقت نساء زمانها علماً وفقهاً. . .

حكمت سوريا مع زوجها بالعدل بين الناس، ولم يصرفها هذا المركز عن حبها لفعل الخير والإحسان إلى الفقراء. . .

أنشأت دار لتربية اليتامى وأبناء السبيل، وخصصت من مالها شيئاً لفك كرب المكروب حتى نالت محبة القلوب[٢].

ست الملك بنت العزيز بالله الفاطمي

سيدة فاضلة، ذات نفوذ وسلطان ورأي وسياسة وعقل وحكمة. . .

كان أخوها الحاكم بأمر الله قد تمادى في بغيه وتجاوز في طغيانه، فضَلّ وأضَلّ، وقتَّل الأبرياء، ونهب الدور، واستحى النساء. . وادعى الألوهية، وأدخل في الدين ما لا يقبله عقل. . .

وكانت أخته ست الملك تحذره، فكان يسمعها غليظ القول ويتهددها بالقتل. . فأخذت في تدبير الحيلة على قتل أخيها وتخليص البلاد والعباد من جبروته وضلاله.

ورسمت خطة محكمة مع سيف الدولة بن دواس، وكان بمصر

---

(١) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتصرف».

(٢) «نساء فاضلات» عبد البديع صقر «بتصرف».

على أن يكون هو صاحب الجيش ومدبره وشيخ الدولة القائم بأمره، وتتوج علي بن الحاكم، ولده، موضع أبيه.. وكان حينذاك صبياً، ويتعهده ابن دواس بالرعاية حتى يكبر...

ونجحت خطتها بتوفيق من الله، وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل ولقبوا علياً بالظاهر لإعزاز دين الله، وأقبل الناس أفواجاً فبايعوه.. فجزى الله ست الملك بنت العزيز عن الإسلام خير الجزاء[١] توفيت رحمها الله سنة ٤٠٥هـ.

فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي

عالمة فقيهة محدثة، أخذت العلم عن جملة من الفقهاء، وأخذ عنها كثيرون، وألفت مؤلفات عديدة في الفقه والحديث، وكانت من الزهد والورع على جانب عظيم.

وكانت معاصرة للملك العادل «نور الدين الشهيد» وطالما استشارها في بعض أموره الداخلية.. وأخذ عنها بعض المسائل الفقهية، وكان ينعم عليها ويعضدها. **وتوفيت بمدينة حلب**. رحمها الله رحمة واسعة[٢].

فاطمة بنت محمد الديروطي

عالمة فاضلة.. حفظت القرآن الكريم، وعقيدة الغزالي، وأربعون النووي، والشاطبَتَيْن ونونية السّخاوي، ومختصر أبي شجاع...

وتدربت على والدها في القرآن إفراداً ثم جمعاً وقدم بها إلى القاهرة، فقرأت على الشهاب السكندري وبرعت في القراءات مع استحضار الشاطبية.

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».
(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

وفهم جيد. . وانتفع بها جماعة من الرجال والنساء وعاصرت السخاوي وأقامت بديروط[1].

أميـرة بلـــخ

(مثال المروءة والكرم)

جاء في رحلة ابن بطوطة:

أن بعض خلفاء بني العباس فرض على أهل مدينة «بلخ» ضريبة مرتفعة جداً. . فضجت النساء من هذه الضريبة وذهبن إلى «الأميرة» يشتكين لها ويستغثن بها فأرسلت إلى الرسول الذي جاء لجلب المال: ثوباً مكَّلاً بالجواهر واليواقيت يساوي أضعاف الضريبة وقالت له: إذهب بثوبـي هذا إلى الخليفة فإني قد افتديت هؤلاء الضعفاء به. . .

فلما حضر الرسول إلى الخليفة ومعه الثوب. . قال الخليفة: إذا كانت هذه المروءة عند سيدة فنحن أولى بمثل هذه المروءة. . ورد إليها الثوب. . .

فلم تشأ الأميرة أن تلبس ثوبها الذي وقع عليه نظر أمير المؤمنين حياء وأدباً، فباعت نصف ما عليه من الجواهر وبنت به مسجداً ومدرسة، وأمرت بدفن الباقي تحت سور المسجد. . لتعمير المسجد من جديد حينما يهدم. .[2].

صفية بنت شيبة بن عثمان بن أبـي طلحة

راوية من راويات الحديث الثقات. . .

روت عن النبـي ﷺ وعن عائشة وأم حبيبة وأم سلمة أمهات المؤمنين، وعن أسماء بنت أبـي بكر وحبيبة بنت أبـي غزوان. . وروى عنها ابنها منصور بن عبد الرحيم الجحمي، وولدا عبد الحميد بن

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. بتلخيص وتصرف».

(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف وتلخيص».

جبير بن شيبة، وابن أخيها الآخر مصعب بن شيبة، وإبراهيم بن مهاجر، وقتادة، وغيرهم كثير. **توفيت نحو سنة ٩٠هـ**[١].

كريمة بنت محمد بن حاتم

عالمة فصيحة.. روت صحيح البخاري عن الكشميهي وروايتها من أصح روايات البخاري، وروت عن زاهر السرخسي، وكانت تصف كتبها وتقابل نسخها.

كان يرحل إليها أفاضل العلماء لشدة فهمها ونباهتها وكان لها مجلس بمكة المكرمة تجتمع فيه الطلبة والأفاضل من رجال كل علم.. وهي تلقي على كل نوع مما يطلبه بعبارة فصيحة المأخذ مفهومة المعنى.

بلغت في علم الحديث حداً لم يبلغه غيرها، ولم تتزوج قط **وتوفيت بمكة المكرمة عن مائة سنة قضتها في العلم والتدريس**..[٢].

الخيـــزران

[أم هارون الرشيد]

سيدة فاضلة، حازمة عاقلة، متفقهة متصدقة زوجة المهدي العباس، وأم ولديه: الهدي وهارون الرشيد: أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي ولما مات زوجها، وتولى ابنها الهادي انفردت بكبار الأمور، وكان لها مآثر جليلة.

ولما تولى بعده هارون الرشيد، حجت وأنفقت أموالاً كثيرة في الصدقات وأعمال البر...

ولما توفيت ببغداد، مشى ابنها هارون الرشيد في جنازتها حاف القدمين، آخذاً بقائمة التابوت، وقد شد وسطه بحزام، حتى أتى مقابر

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف وتلخيص».
(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف وتلخيص».

القرشيين، فغسل رجله من الطين، وصلّى عليها ودخل قبرها.. ودفنها..[1].

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان

فصيحة وأديبة، ذات دين وورع تزوجت بعمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة، قال لها: إن أردت نصيحتي فرُدّي ما معك من مال وحليّ وجواهر إلى بيت مال المسلمين، فإنه لهم فردته جميعه، ولم يبق منه شيئاً.. وبقيت معه في عيشة التقشف والضيق مع اتساع الخلافة والملك...

فلما مات، وانتقلت الخلافة إلى أخيها «يزيد بن عبد الملك» فقال لها: سأرد عليك مالك، فإن عمر قد ظلمك، فخذيه.. فقالت: كلا والله لا آخذه، فما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً.. وبقيت فاطمة في حالة زهد وعبادة وورع حتى لحقت بزوجها عمر بن عبد العزيز، رحمهما الله رحمة واسعة ورضي عنهما[2].

قطر الندى: زوجة الخليفة المعتضد

أديبة فاضلة.. محسنة خيّرة...

كانت تجمع الأديبات ونوابغ النساء فكنَّ يتناقشن في الموضوعات العلمية ويتطارحن الأسئلة العديدة.

ولما توفي زوجها، وتولى ابنها المقتدر الخلافة من بعده وكان حديث السن، تدخلت في الأحكام وأصبح العقد والحل بيدها...

وقد أنشأت مستشفى وخصصت لنفقته السنوية سبعة آلاف دينار، وكانت تجلس للنظر في المظالم وتنظر في شكاوي الناس كل جمعة..[3].

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف وتلخيص».
(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف وتلخيص».
(٣) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف وتلخيص».

خوند تتر بنت محمد بن قلاوون

أميرة من ربات البر والإحسان.. أنشأت في مصر المدرسة الحجازية وجعلت بها درساً للفقهاء الشافعية، ودرساً للفقهاء المالكية وأقامت بها منبراً يخطب عليه الجمعة، وعينت إماماً يقيم بالناس الصلوات الخمس.. ورتبت عدة قراء يتناوبون قراءة القرآن الكريم وجعلت بجوار مدرستها مكتباً لعدد من أيتام المسلمين، وعينت لهم معلماً يعلمهم القرآن الكريم، وتتكفل بإطعامهم مع مبلغاً من الدراهم لكل منهم لكسوتي الشتاء والصيف.. وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة يصرف منها لأرباب الوظائف(١).

هند بنت النعمان بن بشير الأنصارية

[المرأة التي ذَلَّت الحجاج الثقفي]

شاعرة فصيحة، وأديبة مرموقة، كانت ذات حسن وبهاء.. كانت زوجة لروح بن زنباع، وكان رجلاً شديد الغيرة، فافترقا.

ورغب الحجاج في زواجها لحُسنها، وأجزل لها مالاً وفيراً وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم.. وتزوجها.. وذات يوم، دخل عليها الحجاج وهي تنظر في المرآة وتقول:

وما هندُ إلا مهرة عربية سليلة أفراسٍ تحلَّلَها بَغْلُ
فإن ولدت فحلاً فلله درّها وإن ولدت بغلاً فجاء به البغلُ

فانصرف الحجاج، ولم تكن قد علمت بوجوده، وأرسل إليها عبد الله بن طاهر ومعه المائتا ألف درهم التي كانت لها ويطلقها عنه، فدخل عليها عبد الله وقال لها: يقول لك الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم، فقالت: اعلم يا ابن طاهر إنا والله كنا فما حمدنا، وبنا فما ندمنا، وهذه المائتا ألف درهم بشارة لك بخلاصي من كلب ثقيف.

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

وأراد عبد الملك بن مروان أن يخطبها لنفسه.. فأرسلت إليه تقول له: اعلم يا أمير المؤمنين أن الإناء ولغ فيه الكلب.. فلما قرأ كتابها، كتب إليها يقول: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب فاغسلي الإناء يحل الاستعمال... فقبلت وكتبت إليه: يا أمير المؤمنين، والله لا أحل العقد إلا بشرط، وهو أن يقود الحجاج محملي من المعرّة إلىٍ بلدك التي أنت فيها، ويكون ماشياً حافياً بحليته التي كان فيها.. أو لا...

فأنفذ إلى الحجاج أمره بذلك، فامتثل الأمر ولم يخالف، وسار الحجاج في موكب هند وركب حولها جواريها وعندما قربت من بلد عبد الملك، ألقت ديناراً على الأرض، ونادت يا جَمَّال قد سقط منا درهم فارفعه إلينا، قال لها الحجاج: بل هو دينار، فقالت للحجاج: الحمد لله الذي سقط منا درهم فعوضنا الله ديناراً...

فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جواباً، ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها[(١)].

مُزينة بنت مروان بن محمد الأموي

[إرحموا عزيز قوم ذل]

من فواضل نساء عصرها.. استأذنت في الدخول على الخيزران في دارها وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات هاشم، وزينب بنت سليمان بن علي أعلاهن مرتبة لكبر سنها، وكان المهدي قد تقدم إلى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان، لتقتبس من آدابها ولتأخذ من أخلاقها لأنها عجوز أدركت أوائلهم...

فأذنت الخيرزان لها بالدخول، فإذا امرأة ذات بهاء وجمال في أطمار رثة.. فقلن لها من أنت؟ قالت: أنا مزينة امرأة مروان بن

---

(١) عن «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف وتلخيص».

محمد، وقد أصابني الدهر إلى ماترين ووالله ما الأطمار الرثة التي عليَّ إلا عارية، وقد قصدناكم لنكون في حجابكم على أية حال كانت.

فاغرورقت عينا الخيزران بالدموع...

أما زينب بنت سليمان فقالت: لا خفَّفَ الله عنك يا مزينة، أتذكرين وقد دخلت عليك وأنت على هذا البساط بعينه فكلمتك في جثة إبراهيم الإمام فانتهرتيني وأمرت بإخراجي، وقلت ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم...

فقالت مزينة: والله ما تظن هذه الحالة أدتني إلى ما ترينه إلا بالفعل الذي كان مني، وكأنك استحسنتيه فحرضت الخيزران على فعل مثله.. إنما يجب أن تحضيها على فعل الخير وترك المقابلة بالشر...

ثم قالت لزينب: يا بنت عم كيف رأيت صنيع الله بنا في العقوق فأحببت التأسي بنا، ثم ولت باكية...

فغمزت الخيزران إحدى جواريها فعدلت بها إلى بعض المقاصير وأمرت بتغيير حالها والإحسان إليها.

فلما دخل المهدي عليها وقد انصرفت زينب، قصت عليه الخيزران ما حدث وما أمرت به، فدعا بالجارية التي ردتها وسألها، ما الذي سمعتيها تقول: فقالت: لحقتها وهي تبكي في خروجها وتقرأ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[1].

فقال المهدي للخيزران: والله لو لم تفعلي بها ما فعلت ما كلمتك، وبكى بكاءً كثيراً.. وقال: اللهم إني أعوذ بك من زوال النعمة.. وأنكر على زينب فعلها...

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٢..

ثم أرسل إلى مزينة وقال لها: يا بنت عم. . إنك مع أخواتك في قصري لك ما لهن وعليك ما عليهن إلى أن يأتيك أمر من له الأمر فيما حكم به على الخلق. ثم أقطعها مثل ما لهن من الإقطاع. . فأقامت في قصره حتى أيام الرشيد، وتوفيت في خلافته لا يفرق بينها وبين نساء بني هاشم[1].

فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة «أم جعفر بن يحيى»

[قوة الحجة وحسن البيان]

أرضعت الرشيد مع جعفر، فقد ربي في حجرها، وكان الرشيد قد آلى وهو في كفالتها أن لا يحجبها ولا استشفعته لأحد إلا شفَّعها، وآلت أم جعفر أن لا دخلت عليه إلا مأذوناً لها، ولا شفَّعت لأحد مقترف ذنباً. . .

ولما فتك الرشيد بابنها جعفر، وقذف بزوجها وبقية أسرتها في غياهب السجون بعد إيقاعه بالبرامكة. . طلبت الإذن عليه لم يأذن لها. . ولا أمر بشيء فيها. . فلما طال ذلك بها، خرجت كاشفة عن وجهها، واضعة لثامها، محتفية «أي حافية» في مشيها، حتى صارت باب قصر الرشيد. . فدخل الحاجب عليه فقال له: ظئر أمير المؤمنين بالباب. . قال: أدخلها، فرب كبدٍ غذتها، وكربة فرجتها، وعورة سترتها، فدخلت. . فلما رآها الرشيد محتفية، قام محتفياً حتى تلقاها، وأكب على تقبيل رأسها، ثم أجلسها، فقالت: يا أمير المؤمنين، أيعدو علينا الزمان ويجفونا خوفاً لك الأعوان، ويحردك بنا البهتان، وقد ربيتك في حجري، وأخذت برضاعك الأمان من عدوي ودهري. . فقال لها: وما ذلك يا أم الرشيد؟ قالت: ظِئرُك يحيى وأبوك بعد أبيك. . .

---

(١) عن: «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتلخيص وتصرف». .

قال لها: يا أم الرشيد أمر سبق وقضاء حُمّ، وغضب من الله نفذ... قالت: يا أمير المؤمنين يمحو الله ما يشاء، ويُثبت وعنده أمُّ الكتاب.. قال: صدقت، فهذا مما لم يمحه الله، فقالت: الغيب محجوب عن النبيين، فكيف عنك يا أمير المؤمنين؟ وأين قول الله عز وجل: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾(1).

فأطرق هارون ملياً ثم قال: رضيت، قالت: فهبه لي فقد قال رسول الله ﷺ: «من ترك شيئاً لله لم يوجده الله فقده».

قال الرشيد: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾(2).

قالت: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾(3)، واذكر يا أمير المؤمنين ما آليته على نفسك ما استشفعت إلاّ شفّعتني.. قال: واذكري يا أم الرشيد: ألِيّتَك أن لا شفّعت لمقترف ذنباً...

فلما رأته قد صَرّح بمنعها، أخرجت زمردة خضراء وفتحت عنه قفلاً من ذهب فأخرجت منه ذوائبه وثناياه وقالت: يا أمير المؤمنين أستشفع إليك، وأستعين بالله عليك فأخذ هارون ذلك فلثمه ثم استعبر وبكى بكاء شديداً وبكى أهل المجلس.. فلما أفاق دفعه إليها وقال: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾(4) قالت: والله يقول: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ ويقول: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾(5).

---

(1) سورة آل عمران: الآية: ١٣٤.
(2) سورة الروم، الآية: ٤.
(3) سورة الروم، الآيتان: ٤، ٥.
(4) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(5) سورة النحل، الآية: ٩١.

فقال: وما ذلك يا أم الرشيد.. قالت أقسمت لي به أن لا تحجبني ولا تمتهني.. قال أتشريه مُحَكَّمة فيه؟ قالت: أنصفت.. قال: بكم؟ قالت: برضاك عمن لا يُسْخِطك، قال: يا أم الرشيد أمَا لي عليك من الحق مثل الذي لهم؟ قالت.. بلى.. أنت أعز عليَّ وهم أحب إليَّ، قال: فتحكمي في ثمنه بغيرهم.. قالت بلى، قد وهبتك إياه، وجعلتك في حل منه وقامت عنه.. فبقي الرشيد مبهوتاً ما ينطق لفظة.. قال سهل: وخرجت فلم تعد، ولا والله ما رأيت لها عَبْرة، ولا سمعت لها أنّة[1].

عاتكة بنت يزيد بن معاوية

من ربات المجد والعظمة، شغلت في قلوب بني أمية مكاناً رفيعاً، وتزوجها عبد الملك بن مروان...

وينسب إليها أرض عاتكة خارج باب الجابية بدمشق وكان لها بهذه الأرض قصر وبه مات عبد الملك بن مروان. وروى عنها مهاجر الأنصاري، وحدث أبو زرعة الدمشقي فقال: فيمن حدث من النساء عاتكة بنت يزيد...

وحدث عنها عدد من رواة الحديث، وعاشت عاتكة إلى أن أدركت مقتل ابن ابنها الوليد بن يزيد[2].

عائشة بنت يوسف الباعونية الدمشقية

أديبة وشاعرة وعالمة جليلة ذات صلاح ودين ومعرفة بالتصوف...

سافرت إلى القاهرة واقتطفت فيها حظاً وافراً من العلوم حتى

---

(١) عن: «المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها» عبد الله عفيفي. «بتلخيص وتصرف».

(٢) «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف»..

أجيزت بالإفتاء والتدريس، ثم أخذت في التأليف، فاجتمع لديها طائفة جليلة من الكتب والرسائل والقصائد، مثل كتاب الإشارات الخفية في المنازل العليّة وهي أرجوزة اختصرت فيها منازل السائرين للهروي، وأرجوزة أخرى لخصت فيها القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي، وغير ذلك.

رحلت من القاهرة سنة ٩١٩هـ، فأصيبت في الطريق وتوفيت بدمشق سنة ٩٢٢هـ[١].

---

(١) «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف».

الفصل الثامن:

نساء مجاهدات

* السيدة: صفية بنت عبد المطلب.
* السيدة: نسيبة بنت كعب المازنية.
* السيدة: أم سليم بنت ملحان الأنصارية.
* السيدة: خولة بنت الأزور.
* السيدة: أم حكيم بنت الحارث المخزومية.
* السيدة: أم سنان الأسلمية.
* السيدة: ليلى الغفارية.
* السيدة: نسيبة بنت الحارث.
* السيدة: غزالة الحرورية.
* السيدة: أم موسى بن نصير.
* السيدة: أزدة بنت الحارث بن كلدة.

صفية بنت عبد المطلب

[عمة رسول الله ﷺ]

صحابية فاضلة، أسلمت قديماً وبايعت النبي ﷺ وهاجرت إلى المدينة، وكانت مثلاً في السابقات صدقاً وإخلاصاً وشجاعة وعملاً.

هي عمة رسول الله ﷺ وأم الزبير بن العوام رضي الله عنه وشقيقة حمزة بن عبد المطلب «أسد الله» رضي الله عنه.

شهدت صفية، رضي الله عنها أحداً والأحزاب وخيبر ولما انهزم المسلمون في غزوة أحد، قامت وبيدها رمح تضرب به في وجوه الناس وتقول: انهزمتم عن رسول الله ﷺ فلما رآها رسول الله ﷺ قال لابنها الزبير: «**إلقها فأرجعها لكي لا ترى ما بأخيها حمزة..**» فلقيها الزبير، فقال: يا أماه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، فقالت: ولم فقد بلغني أنه مُثِّل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأصبرن واحتسبن، إن شاء الله.

فلما جاء الزبير رسول الله ﷺ وأخبره بقول صفية قال له: «**خلِّ سبيلها**»، فأتته فنظرت إليه واسترجعت واستغفرت، ثم أمر رسول الله ﷺ به فدفن.

ثم شهدت صفية غزوة الأحزاب.. وكان رسول الله ﷺ قد جمع النساء والصبيان في حصن بني حارثة حتى لا يمسهم السوء.. واعتصم بالحصن يومئذ حسان بن ثابت وكانت صفية بين النساء، فبينما هي مشرفة من الحصن إذا بفارس يهودي يطوف بالحصن، فخشيت أن يقتحمه أو يدل عليه، فقالت صفية: يا حسان إن هذا اليهودي يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل علينا مَنْ وراءنا من يهود، وقد شغل

عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله.

قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، فلما يئست منه، احتجزت بثوبها واحتملت عموداً، ونزلت إليه وهو ملتمع السلاح، فنازلته فقتلته، فكانت أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين. ثم قالت: يا حسان إنزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل.. فقال حسان: ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب.. ثم شهدت بعد ذلك غزوة خيبر.

وروت صفية عن النبي ﷺ وروى عنها.. وكانت شاعرة فصيحة من شواعر العرب المجيدات في الرثاء وغيره، متقدمة عند جميع العرب بالقول والفعل والحسب والنسب والشرف.

وتوفيت رضي الله عنها في خلافة عمر سنة عشرين وهي تبلغ الثالثة والسبعين من عمرها، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودفنت في البقيع...

وفي رواية أنها توفيت في إمارة عثمان بن عفان رضي الله عنه(١).

نسيبة بنت كعب المازنية

[أم عمارة]

لكل بطل موقف عرف به، وأثر عنه وكان مهبط الشرف من حياته، ومعقد الفخر من سيرته وليس أملأ للقلب، وأملك للنفس، وأثر في التاريخ، من موقف نسيبة بنت كعب رضي الله عنها.

خرجت نسيبة في جيش المسلمين يوم أحد تسقي الظماء، وتأسو الجرحى، وكانت غرة الحرب في صالح المسلمين، فلما انهزم

---

(١) عن: «أعلام النساء» عمر رضا كحالة

«المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها»: عبد الله عفيفي

«نساء فاضلات»: عبد البديع صقر مع «التلخيص والتصرف».

المسلمون وانكشفوا، ولَّوا مدبرين إلا عشرة أو نحوهم وقفوا يدرأون عن رسول الله ﷺ ويحولون دون الوصول إليه.

هنالك جاء دور نسيبة، فانتضت سيفها، واحتملت قوسها، راحت تصول وتجول بين يدي رسول الله ﷺ، تنزع عن القوس وتضرب بالسيف، وحولها من الغرِّ المذاويد، عليٌّ وأبو بكر وعمر وسعد وطلحة والزبير والعباس، وولداها وزوجها، فكانت من أظهر القوم أثراً، وأعظمهم موقفاً، وكلما رأت الخطر يقترب من رسول الله ﷺ وثبت مسرعة لتذود عنه حتى قال ﷺ: **«ما التفتّ يميناً وشمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني. . .»**.

ويروي لنا ابنها عمارة ذلك المشهد فيقول: جُرحت يومئذ جرحاً في عضدي اليسرى، ضربني رجل ومضى عني، ولم يعرّج عليَّ، وجعل الدم لا يرقأ فقال رسول الله ﷺ: **«اعصب جرحك»**، فأقبلت أمي إليّ، ومعها عصائب في حقويْها، قد أعدتها للجراح، فربطت جرحي، والنبي واقف ينظر إليّ ثم قالت: انهض بُنَيّ، فضارب القوم، فجعل النبي ﷺ يقول: **«ومن يُطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟»** قالت: وأقبل الرجل الذي ضرب ابني، فقال رسول الله ﷺ: **«هذا ضارب ابنك»**، قالت: فاعترضت له، فضربت ساقه، فبرك، قالت: فرأيت رسول الله ﷺ يتبسَّم حتى رأيت نواجذه، وقال: **«استقدت يا أم عمارة»**، ثم أقبلنا نَعْلُه[1] بالسلاح حتى أتينا على نفسه، فقال النبي ﷺ: **«الحمد لله الذي ظفرك، وأقرَّ عينيك من عدوّك، وأراك ثأرك بعينك»**.

وأصيبت نسيبة في هذا اليوم بثلاثة عشر جرحاً، واحداً غار في عاتقها فنزف الدم منه، وهي رغم ذلك كالصاعقة الساحقة، تضرب في نحور العدو وترتمي بين صفوفهم، فقال رسول الله ﷺ: **«أمَّك أمَّك**

---

(١) نُعلة: أي نتابع الضرب.

اعصب جرحها، مقام أمك يا عمارة من مقام فلان وفلان» فلما سمعت أمّه قالت: ادع الله أن نرافقك في الجنة، فقال: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة». فقالت: ما أبالي ما أصابني في الدنيا. . .

وقد شهدت أم عمارة بيعة الرضوان ثم شهدت قتال مسيلمة باليمامة، ولما استعد خالد بن الوليد إلى اليمامة، جاءت إلى أبي بكر الصديق لتستأذنه في الخروج فقال: قد عرفنا بلاءك في الحرب فاخرجي على اسم الله. . وأوصى خالد عليها، وجاهدت باليمامة أشد الجهاد، فلما انتهت الحرب، ورجعت إلى بيتها طلب خالد بن الوليد من العرب مداواتها بالزيت المغلي فكان أشد عليها من القطع.

وكان خالد رضي الله عنه يتعهدها ويحسن صحبتها ويعرف حقها ويحفظ فيها وصية النبي ﷺ. . .

ولما قدمت المدينة كان أبو بكر رضي الله عنه، وهو يومئذ خليفة يعودها ويسأل عنها.

وقد روت أم عمارة عن النبي ﷺ وروى عنها حفيدها عبّاد بن تميم بن زيد، والحارث بن عبد الله بن كعب وابن عباس وغيرهم. . وروى لها الترمذي والنسائي وابن ماجة[1].

أم سليم بنت ملحان بن خالد الأنصارية

[كان صداقها إسلام أبو طلحة]

مجاهدة جليلة، ذات عقل ورأي، أسلمت مع السابقين إلى الإسلام، وبايعت رسول الله ﷺ، وكان إسلامها مراغمة لزوجها مالك بن النضر، وكان ابنها أنس يومئذ طفلاً رضيعاً، فكانت تقول له: لا إله إلا الله، قل أشهد أن محمداً رسول الله. . فجعل ينطق بذلك أول

---

(١) «المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها»: عبد الله عفيفي.
«نساء فاضلات» د. عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

ما نطق، فكان ذلك يثير غضب زوجها مالك بن النضر ويقول لها: لا تفسدي عليَّ ولدي، ثم أيأسه أمرها، فخرج عنها إلى الشام، ثم قتل هناك. فلما علمت بمقتله قالت: لا أفطم أنساً حتى يدع الثدي، ولا أتزوج حتى يجلس في المجالس حتى إذا شبَّ أنس تقدم لخطبتها أبو طلحة زيد بن سهل، وكان مشركاً فأبت وقالت له: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده هو حجر لا يضر ولا ينفع، أو خشبة يأتي بها النجّار فينْجرها لك، هل يضرك؟ هل ينفعك؟ أفلا تستحي من عبادتك هذه، فإن أسلمت فإني لا أريد منك صداقاً غير إسلامك.. فوقع الإسلام في قلب طلحة ونطق بالشهادتين، فتزوجته، وكان صداقها إسلام أبو طلحة...

وروت عن النبي ﷺ: (١٤) حديثاً أخرج لها منها في الصحيحين أربعة أحاديث أحدها متفق عليه وانفرد البخاري بحديث ومسلم بحديث، وروى عنها أنس بن مالك وعبد الله بن عباس وعمرو بن عاصم الأنصاري وأبو سلمة عبد الرحمٰن بن عوف وزيد بن ثابت.

وشهدت يوم أحد، وسقت فيه العطشى وداوت الجرحى.. ثم شهدت يوم حنين وكانت حاملاً فرآها أبو طلحة متقلدة خنجراً مشهوراً، فشكاها إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله أتخذه إن دنا أحد من المشركين بقرت بطنه، أقتل الطلقاء وأضرب أعناقهم إن انهزموا بك وفرُّوا عنك، فقال لها رسول الله ﷺ: **«يا أم سليم، إنَّ الله قد كفى وأحسن»**.

ولقد ضربت «أم سليم» رضي الله عنها مثلا في جلال الصبر وقوة الإيمان، ما يجعلها أسوة تتأسَّى بها نساؤنا المؤمنات،.. ولنترك ولدها الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه ليحدثنا عن موقف لها مهيب:

يقول أنس: مرض أخ لي من أبي طلحة يدعى أبا عمير فبينا أبو

طلحة في المسجد مات الصبي. . .

فهيأت أم سليم أمره، وقالت: لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه، فرجع من المسجد وقد تطيبت له وتصنَّعت فقال: ما فعل ابني؟ قالت: هو أسكن مما كان. . وقدمت له عشاءه فتعشى، هو وأصحابه الذين قدموا معه، ثم أتمَّا ليلتهما على أتم وأوفق ما يكون الزوجان. . .

فلما كان آخر الليل قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان، استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طلبت إليهم، شقَّ عليهم؟ قال: ما أنصفوا قالت: فإن ابنك فلاناً كان عارية من الله فقبضه إليه. . فاسترجع وحمد الله، وقال: والله لا أدعك تغلبينني على الصبر، حتى إذا أصبح غدا على رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: «**بارك الله لكما في ليلتكما**»، فاشتملت منذ تلك الليلة على عبد الله بن أبي طلحة.

ولم يمت عبد الله حتى رزق من الولد عشر بنين كلهم حفظ القرآن وأبلى في سبيل الله، فبارك الله لهما في ذريتهما استجابة لدعوة رسول الله ﷺ، وَلِما كان لأم سليم من الإيمان والصبر والكمال في أسمى فضائله. . .

رحم الله أم سليم، ورضي عنها. . مسلمة صادقة، ومؤمنة صابرة، ومجاهدة شجاعة. .[1].

خولة بنت الأزور

[الفارس الملثم]

في تاريخ الجهاد الإسلامي، كان هناك نماذج مشرفة من النساء المسلمات اللاتي كن يخرجن مع الرجال، فيسرن خلف الجيوش، ويسقين العطشى، ويسعفن المرضى، ويحرضنهم على الثبات. . .

---

(١) عن: «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «المرأة العربية في جاهليتها واسلامها»: عبد الله عفيفي. «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. مع «التلخيص والتصرف».

من هذه الأمثلة النسائية الإسلامية الرائعة خولة بنت الأزور الكندي، التي خلد التاريخ اسمها في سجل الأبطال البواسل.. فقد كانت حياتها حافلة بالفروسية، تشارك المسلمين والمسلمات الجهاد في سبيل الله، وقد أبلت بلاء حسناً في بلاد الشام حين فتحها جيوش المسلمين في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وامتدت حياتها إلى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فشهدت كثيراً من الوقائع والمعارك، وأظهرت شجاعة وبسالة أثارت الدهشة والإعجاب في محاولتها لإنقاذ أخيها «ضرار بن الأزور» من أسر الروم.

وبينما ينهض خالد بن الوليد رضي الله عنه في طليعة من جنده لاستخلاصه من الأسر، وقد احتدم القتال بين المسلمين وجيش الروم، يفاجأ الروم بفارس عربي ملثم لا يبين منه إلا الحدق، وقد حزم وسطه بعمامة خضراء وسحبها على صدره من ورائه.. ويقذف بنفسه في شجاعة باسلة، ويصول ويجول في المعركة ويضرب ويفتك دون تردد أو التفات...

وتساءل خالد وبعض القادة؟! من هذا الفارس المقنع؟، وما اسمه؟ فأعرض عنهم... لكن خالد ناشده رفع اللثام...

وهنا تفصح خولة عن نفسها وتقول: أيها الأمير.. إنني لم أعرض عنك، إلا حياء منك فأنا من ذوات الخدور وربَّات الستور وإنما حملني على ما رأيت أني محترقة الكبد زائدة الكمد.. أنا خولة بنت الأزور كنت مع نساء قومي، فأتاني آت بأن أخي ضرار أسيراً فركبت وفعلت ما رأيت، وأقسم خالد على استنقاذ ضرار من الأسر، واستأنف المسلمين الجهاد وحملوا حملة واحدة، وانكشفت المعركة عن انهزام العدو وانتصار المسلمين في موقعة «أجنادين»، وتحرر ضرار من الأسر.

ثم عادت الحرب مرة أخرى بين المسلمين والروم في معركة «مرج دابق»، وتَفْقِدُ خولة أخاها حيث يقع أسيراً للمرة الثانية، فيشتد

أساها، ويعظم كربها وتحث جند الإسلام على الثأر من الروم واستخلاص أخيها من أسرهم، وضمّت إليها بعض النسوة لتحريض الجند على القتال، حتى إذا حَمِيَ وطيس المعركة، وزحف جند الله إلى شمال الشام حاصروا «أنطاكية» واستنقذوا أسراهم وفيهم ضرار.

ولكن قدرة الله العليم الحكيم، أوقع «خولة» في أسر الروم مع بعض النسوة، في الوقت الذي نجا فيه ضرار، ويظفر الروم بغريمتهم التي ملأت قلوبهم غيظاً وحقداً، لكن خولة لم تستسلم ولم تهدأ ولم تلين، بل قامت خطيبة في النسوة: يا بنات حمير، وبقايا تبع، أترضين لأنفسكن علوج الروم ويكون أولادكم لهم عبيداً؟! إني أرى القتل أهون من هذا الأسر الذليل...

ثم أشارت عليهن أن يأخذن أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب، ويحملن بها على عَدُوِّهم اللَّئيم...

وحمل النسوة الأعمدة والأوتاد، وصحن صيحة واحدة، وهجمت خولة وهجمت النساء وراءها وقاتلن قتالاً شديداً، حتى استخلصت النسوة من أيدي الروم...

لقد كانت خولة بنت الأزور، نموذجاً رائعاً لوفاء الأخت لأخيها، ومثلاً يحتذى في جهاد المرأة المسلمة في سبيل دينها وعقيدتها وغيرتها على أعراض المسلمات وشرفهن[١].

أم حكيم بنت الحارث المخزومية

مجاهدة جليلة، شهدت أحداً مع زوجها عكرمة بن أبي جهل وأسلمت قبل الفتح، واستأمنت لزوجها عكرمة، فأمَّنه رسول الله ﷺ.. فخرجت في طلبه وقد هرب إلى اليمن فأدركته في إحدى سواحل تهامة

---

(١) «كرائم النساء»: أحمد محمد جمال. «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. مع «الإيجاز والتصرف».

وقد ركب البحر فجعلت تقول إليه: يا ابن عم جئتك من أوصل الناس، وأبرّ الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك وقد استأمنت لك منه فأمَّنك.. فرجع معها، وقدم إلى باب رسول الله ﷺ وزوجته معه.. فسبقته فاستأذنت على رسول الله، فدخلت، فأخبر عمر رسول الله ﷺ بقدوم عكرمة.. فأسلم...

وشهدت أم حكيم وقعة اليرموك، وأبلت فيها بلاءً حسناً، فقاتلت فيها أشد القتال وفي وقعة «مرج الصفر» خرجت بعمود الفسطاط فقتلت سبعة من الروم[1]...

أم سنان الأسلمية

مجاهدة جليلة، جاءت إلى النبي ﷺ عندما أراد الخروج إلى خيبر، فقالت: يا رسول الله، أخرج معك في وجهك هذا، أخرز السقاء وأداوي المرضى والجرحى.. إن كانت جراح.. فقال لها رسول الله ﷺ: «**أخرجي على بركة الله، فإن لك صواحب قد أذنت لهن من قومك ومن غيرهم، فإن شئت فمع قومك وإن شئت معنا..**» فقالت أم سنان: معك.. فقال رسول الله ﷺ: «**قد تكونين مع أم سلمة زوجتي**»، فكانت معها وشهدت فتح خيبر، وكانت تخرج مع رسول الله ﷺ إلى الجمعة والعيدين، وروت عنها بنتها ثبيته بنت حنظلة الأسلمية..[2].

ليلى الغفارية

مجاهدة غازية.. كانت تخرج مع النبي ﷺ في مغازيه فتقوم على مداواة الجرحى والمرضى...

عندما خرج علي بن أبي طالب إلى البصرة خرجت معه، وجاءت إلى عائشة رضي الله عنها وقالت لها: هل سمعت رسول الله ﷺ يقول

---

(١) «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص».

(٢) «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص».

في علي؟ قالت نعم، دخل عليّ على رسول الله ﷺ وأنا معه، وعليه جرد قطيفة فجلس بيني وبين رسول الله ﷺ، فقلت له: أما وجدت مكاناً أوسع لك من هذا؟ فقال النبي ﷺ: **«يا عائشة.. دعي لي أخي، فإنه أول الناس إسلاماً، وآخر الناس بي عهداً، وأول الناس لي لقياً يوم القيامة»**.

وحدثت ليلى الغفارية رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ وروى عنها محمد بن قاسم الطائي[1].

نسيبة بنت الحارث

من الصحابيات الفاضلات.. كانت تغزو مع رسول الله ﷺ فتسعف الجرحى وتداوي المرضى...

وشهدت غسل ابنة النبي ﷺ.. وكان جماعة من علماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غسل الميت.

وروت عن النبي ﷺ وعن عمر أربعين حديثاً وروى عنها أنس بن مالك ومحمد بن سيرين[2].

غزالة الحرورية

مجاهدة شجاعة.. زوجة القائد البطل: شبيب بن زيد وهي إحدى القادة الذين روعوا الجيوش وملأوا القلوب أثراً، والأفواه خبراً والأرض عبرا...

وقد حدثوا أن الحجاج بن يوسف خرج في جنده وكلهم شاكي السلاح مستكمل العدة، فعرضت له غزالة في أربعين وهو في أربعة آلاف، فخلع قلبه من الفزع وولى هارباً...

وبلغ من جسارتها أنها أقسمت لتُصلِّينَّ في مسجد الكوفة ركعتين،

---

(١) «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص».
(٢) «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف».

تقرأ في الأولى سورة البقرة وفي الثانية آل عمران، والكوفة يومئذ معقل الحجاج ومجتمع قوته. . .

وبرَّت بقسمها، وصلّت هي وزوجها الركعتان بالمسجد والحجاج متحصن في قصره خوفاً وهلعاً. . .

وقد رماها الحجاج بخمسة جيوش، وهي تلتهمهم التهاماً حتى أصبحت أنحاء العراق ترتجف لاسمها. . .

ثم قُتلت غزالة خدعة، في موقعة الكوفة حيث غافلها فريق من جند الحجاج من ورائها، بينما كانت تخوض في صدور جنده. .[1].

أم موسى بن نُصير

من ذوات الرأي والعقل. . والبسالة والشجاعة. . شهدت مع زوجها وقعة اليرموك. . بينما كانت في جماعة من النساء، وقد جال الرجال جولة في المعركة، إذا بها تبصر «علجا» يجر رجلاً من المسلمين، فأخذت الفسطاط، واقتربت منه، فشدخت رأسه فقتلته، وأقبلت تسلبه. .[2].

أزدة بنت الحارث بن كلدة

مجاهدة صاحبة رأي ودراية. . خاضت ساعات الوغى بكل بسالة ورباطة جأش، وحازت النصر المبين على الأعداء. . .

فقد ذكر المؤرخون: أنه أجمع أهل ميسان للمسلمين فلقيهم المغيرة بن شعبة بالمرغاب، وقد خلف العدو دون دجلة. . فقالت أزدة: إن رجالنا في نحر العدو ونحن خلوف، ولا آمن أن يخالفوا إلينا، ليس عندنا ما يمنعنا وأخاف أن يكثر العدو على المسلمين فيهزموهم. . فلو خرجنا لأمِنَّا مما نخاف من مخالفة العدو إلينا، ويظن المشركون أنا

---

(١) عن: «أعلام النساء» عمر كحالة. «بتلخيص وتصرف».

(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «مع التصرف».

عدد ومدد، قد أتى المسلمين، فيكسرهم ذلك، وهي مكيدة...

فأخذوا برأيها، واتخذت أزدة لواء من خمارها، واتخذت النساء رايات من خمرهن، ومضين أمامهن، ثم انتهين إليهم والمشركين يقاتلونهم.. فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ظنوا أن مدداً أتى المسلمين، فانكشفوا وأتبعهم المسلمون فقتلوا منهم كثيراً[1].

---

(١) عن: «نساء فاضلات» د. عبد البديع صقر. «بتصرف».

الفصـل التاسـع:

نساء عابدات زاهدات

* السيدة: معاذة بنت عبد الله العدوية.
* السيدة: حفصة بنت سيرين.
* السيدة: زجلة العابدة الزاهدة.
* السيدة: رابعة بنت سليمان الشامية.
* السيدة: غفيرة العابدة.
* السيدة: امنة الرملية.
* السيدة: شعوانة.
* السيدة: رابعة القيسية.
* السيدة: حسنة العابدة.
* السيدة: ميمونة أخت إبراهيم الخواص.
* السيدة: أم هارون الخرسَانية.
* السيدة: مضغة أخت بشر بن الحارث.
* السيدة: خنساء بنت رخدام.
* السيدة: مخة أخت بشر بن الحارث.

* السيدة: عائشة بنت عمران بن سليمان.
* السيدة: أم غسان الأعرابية.
* السيدة: منيفة بنت أبـي طارق.
* السيدة: منفوسة بنت زيد الفوارس.
* السيدة: عجردة العمية.
* السيدة: طايفة.
* السيدة: فاطمة النيسابورية.
* السيدة: عائشة بنت عثمان بن سعيد النبسابوري.

معاذة بنت عبد الله العدوية

عابدة زاهدة، وعالمة متفقهة، كانت إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام. . .

حتى إذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها فلا تنام حتى تصبح.

وإذا جاء البرد لبست ثياباً رقيقاً حتى يمنعها البرد من النوم وكانت تحيي ليلتها بالصلاة، فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وتقول: يا نفس النوم أمامك لو قدمت أطالت رقدتك في القبر على حسرة. . ثم لا تزال تدور إلى الصباح تخاف الموت على غفلة ونوم. . فكانت تصلي في اليوم والليلة ستمائة ركعة وتقول: عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور.

وعن امرأة أرضعتها معاذة قالت: قالت لي معاذة: يا بنية كوني من لقاء الله تعالى على حذر ورجاء، فإني رأيت الراجي محفوفاً بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه؛ ورأيت الخائف له مؤملاً له زمان يوم يقوم الناس لرب العاملين ثم بكت. . وعندما مات زوجها لم تتوسد فراشاً حتى ماتت وكانت تقول: والله ما أحب البقاء إلا لأتقرب إلى ربي بالوسائل. . .

وكانت تقول: صحبت الدنيا سبعين سنة فما رأيت فيها قرّة عين قط. . .

وروت معاذة عن عائشة أم المؤمنين، وأم عمرو بنت عبد الله بن الزبير وهشام بن عامر. . .

وروى عنها أبو قلابة وقتادة ويزيد الرشك وغيرهم وروى لها الجماعة، وذكرها ابن حبان في الثقات. . .

وتوفيت رحمها الله سنة ١٠١هـ(١).

حفصة بنت سيرين

سيدة جليلة، من سيدات التابعيات، اشتهرت بالعبادة وقراءة القرآن والحديث، وقرأت القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة، وكان ابن سيرين إذا استشكل عليه شيء من القرآن قال: اذهبوا فاسألوا حفصة كيف تقرأ. . .

وكانت عابدة تجتهد في العبادة، فتدخل مسجدها فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ولا تزال فيه حتى يرتفع النهار وتركع ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوؤها ونومها، حتى إذا حضرت الصلاة عادت إلى مسجدها مثلها. فكانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة، وكانت تصوم الدهر. . إلا العيدين. . .

وكان لها كفن، فإذا حجَّت وأحرمت لبسته، وإذا جاءت العشرة أيام الأخيرة من رمضان قامت من الليل فلبسته. . ومن أقوالها: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فاني رأيت العمل في الشباب. . .

وروت حفصة عن أخيها يحيـى وأنس بن مالك وأم عطية الأنصارية وغيرهم. . (٢).

زجلة العابدة الزاهدة

محدثة ذات صلاح وعبادة. . صوامة قوامة. . .

كلمها نفر من القراء لما رأوها تجهد نفسها بالعبادة فقالوا لها: أرفقي بنفسك، فأجابت: ما لي وللرفق بها، إنما هي أيام مبادرة، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً. . والله لأصلّين لله ما أفلتتني جوارحي،

---

(١) عن: «أعلام النسا»: عمر كحالة. «بتلخيص وتصرف».

(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

ولأصومن لله أيام حياتي، ولأبكين له ما حملت ألم عيني. . ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه؟.

قال أبو عتبة الحوَّاص: دخلنا على زجلة العابدة، وكانت قد صامت حتى اسودت، وبكيت حتى عميت، وصلّت حتى أقعدت.

وكانت زجلة لا ترفع بصرها إلى السماء، وكانت تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين[1].

رابعة بنت سليمان الشامية

عابدة من عابدات الشام، ومن كلامها: إن العبد إذا عمل بطاعة الله، أطلعه الجبار على مساوي عمله فتشاغل به. . توفيت بدمشق ودفنت في مشهدها بالقرب من المدرسة القيمرية في دمشق وفي رواية أنها دفنت بالقدس. .[2].

غُفيـرة العابـدة

عابدة من أهل البصرة، لا تنام الليل. . .

قال لها نوح بن سلمة الورّاق: بلغني أنك لا تنامين. . .

فبكت غُفيرة وقالت: ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، فكيف تنام أو تقدر على النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلاً أو نهاراً. . .

قال نوح: فأبكتني والله قلت في نفسي: أراني في شيء وأراك في شيء. . .

سألوها عن تعريف الولاية. . ! فقالت: ساعات الولي ساعات شُغل عن الدنيا، ليس لولي في الدنيا ساعة يتفرغ فيها لشيء دون الله، ومن حدثكم أن ولياً لله له شغل بغير الله تعالى فإنه كاذب[3].

---

(١) عن: «أعلام النساء» عمر كحالة. «بتصرف».

(٢) عن: «أعلام النساء» عمر كحالة. «بتصرف».

(٣) عن: «أعلام النساء» عمر كحالة. «بتلخيص وتصرف».

آمنة الرَّملية

عابدة زاهدة من عابدات القرن الثالث للهجرة كان يزورها العباد والزهاد في زمانها، دخل عليها بعض العابدين يسألونها الدعاء، فقالت لهم: لو أن الخاطبين خرسوا، ما تكلمت عجوزكم من البكم ولكن الدعاء سنة.. ثم قالت: جعل الله قراكم من الجنة، وجعل ذكر الموت بيني وبينكم على بال، وحفظ علينا الإيمان وهو أرحم الراحمين...

اعتلَّ بشر بن الحارث، فعادته آمنة من الرملة.. وبينما هي عنده إذ دخل الإمام أحمد بن حنبل يعوده.. فلما عرف الإمام بوجود آمنة عنده طلب من بشر بن الحارث أن يسألها الدعاء.. فقالت آمنة: اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما(١).

شعوانة

عابدة زاهدة بكاءة.. كانت تبكي في الليل والنهار فخافوا عليها العمى من كثرة بكائها، وكلموها في ذلك، فقالت: أعمى والله في الدنيا من البكاء، أحب إليّ من أن أعمى في الآخرة من النار...

سألها الفضيل بن عياض أن تدعو الله له: فقالت له: يا فضيل أما بينك وبين الله تعالى سريرة ما أن دعوته استجاب لك.. فشهق الفضيل شهقة وخرّ مغشيّا عليه. وسمعت شعوانة شخصاً يقول وكانت عند مالك بن دينار: لا يبلغ المتقي حقيقة التقوى، حتى لا يكون شيء أحب إليه من القدوم على الله.. فخرجت مغشياً عليها...

وكانت تقول: من استطاع منكم أن يبكي فليبك، وإلا فليرحم الباكي، فإن الباكي يبكي لمعرفته بما أتى إلى نفسه(٢).

---

(١) عن: «أعلام النساء» عمر كحالة. «بتلخيص وتصرف».

(٢) عن: «أعلام النساء» عمر كحالة. «بتلخيص وتصرف».

رابعة القيسية

عابدة زاهدة متقشفة.. ذات فصاحة وبيان وكانت رفيقة لرابعة العدوية...

قيل لها: هل عملت عملاً قط ترين أنه يقبل منك؟ قالت: إن كان شيء فمخافتي من أن يرد عليَّ...

وقيل لها: لو أذنت لنا، ليجمع قومك ثمن خادم حتى يكفيك المؤونة، وتتفرغي للعبادة، فقالت: والله إني لأستحي أن أسأل الدنيا ممن يملك الدنيا، فكيف أسأل الدنيا ممن لا يملكها[١].

حسنة العابدة

عابدة من عابدات البصرة.. تركت وراءها نعيم الدنيا وانكبت على العبادة تصوم النهار وتقوم الليل. وليس في بيتها شيء...

قالت لها امرأة: تزوجي، فقالت: هات رجلاً زاهداً لا يكلفني من أمر الدنيا شيئاً، وما أظنك تقدرين على ذلك، فوالله ما في نفسي أن أعبد الدنيا، ولا أنعم من رجال الدنيا.. فإن وجدت رجلاً يبكي ويبكيني ويصوم ويأمرني، ويتصدق، نعمت.. وإلا فعلى الرجال السلام[٢].

ميمونة أخت إبراهيم بن أحمد الخوّاص

عابدة زاهدة، سلكت مسلك أخيها في الورع والتوكل، والزهد والتقشف.. دخل عليها أخيها ذات يوم فقال لها: إني اليوم ضيق الصدر، فقالت: «من ضاق قلبه ضاقت عليه الدنيا بما فيها، ألا ترى قول الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾[٣] لقد كان لهم في الأرض متسع، ولكن لما ضاقت عليهم

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف».

(٢) عن: «أعلام النساء» عمر كحالة. «بتلخيص وتصرف».

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

أنفسهم ضاقت عليهم بما فيها الأرض».

دقَّ طارق بيت أخيها يطلبه، ولم يكن موجوداً فسألها متى يعود، فقالت له: مَنْ رُوحه بِيد غيره مَنْ يعلم متى يرجع..[1].

أم هارون الخُرسَانية

عابدة، زاهدة، متقشفة.. ذات صلاح وتقوى تتلمذ لها كثيرون منهم، الزاهد الكبير، أبو سليمان الدراني.. سألها سليمان يوماً: ما تقولين الرجل يحب لقاء الله؟ قالت: ويحك.. ذاك رجل ثقلت عليه الطاعة وأحب الرَّاحة منها.. فقال لها: فإنه إذا أحب البقاء في الدنيا، قالت: بخ بخ.. ذاك رجل أحب الطاعة، وأحب أن يبقى لها وتبقى له...

وقال أبو سليمان لأم هارون: أتحبين الموت.. قالت: لا، قال: ولم تكرهين لقاء الله تعالى؟ فبكت ثم قالت: يا أبا سليمان لو عصيت آدمياً ما حببت لقاءه، فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته.. فوقع أبو سليمان مغشياً عليه.

وكانت أم هارون تأكل الخبز وحده، وقالت: إني لأغتنم بالنهار حتى يجيء الليل، فإذا جاء الليل قمت في أوّله، فإذا جاء السَّحر دنا الروح من قلبي...

وكانت أم هارون تأتي بيت المقدس من دمشق كل شهر مرة على رجليّها[2].

مضغة أخت بشر بن الحارث الحافي

عابدة تقية ورعة، أكبر أخوات بشر، وأكبر منه، وماتت قبله، فحزن عليها حزناً شديداً، وبكى بكاء كثيراً، فلما سئل في ذلك، قال:

---

(١) عن: «أعلام النساء» عمر كحالة. «بتلخيص وتصرف».

(٢) عن: «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتصرف».

قرأت في بعض الكتب أن العبد إذ قصَّر في خدمة ربه سلبهُ أنيسه، وهذه أختي مضغة كانت أنيسى في الدنيا..[1].

خنساء بنت رُخدام

عابدة من عابدات اليمن.. كانت تصوم كثيراً...

وصامت أربعين يوماً حتى لصق جلدها بعظمها.. وبكت حتى ذهبت عيناها، وقامت من الليل حتى أقعدت من رجليها.. وكانت إذا جنَّ الليل، وهدأت العيون تنادي بصوت لها حزين: يا حبيب المطيعين إلى كم تحبس جذوع المطيعين في التراب، ابعثهم حتى يتخيروا موعد الصادق.. وكان طاووس بن وهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠هـ يعظم قدرها[2].

مُخَّة أخت بشر بن الحارث الحافي

من ربات العبادة والورع.. استأذنت على أحمد بن حنبل وقالت له ـ من وراء حجاب ـ: يا أبا عبد الله.. أنا امرأة أغزل بالليل في السراج، فربما طفىء السراج فأغزل في القمر، فهل عليَّ أن أبين غزل القمر من غزل السراج (تقصد أنه قد لا تكون القطعة التي غزلتها في ضوء القمر بمثل جودة الغزل في ضوء السراج).

فقال لها الإمام أحمد: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبِّيني ذلك. ثم سألته قائلة: يا أبا عبد الله أنين المريض شكوى؟ قال: أرجو ألاّ يكون، ولكنه اشتكاء إلى الله عز وجل.. قال عبد الله: فودعته وخرجت، فقال الإمام: يا بنيَّ ما سمعت إنساناً يسأل عن مثل هذا.. من هذه المرأة؟ قال: هي أخت بشر الحافي.

قال الإمام أحمد.. محال أن تكون مثل هذه إلا أختَ بشر[3].

---

(١) عن: «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتصرف».

(٢) عن: «اعلام النساء» عمر كحالة. «بتلخيص وتصرف».

(٣) عن كتاب: «نساء زاهدات» محمد خير يوسف. «بتصرف».

عائشة بنت عمران بن سليمان المنوبي

من ربات الزهد والتقشف.. نشأت في حجر أبيها فاعتنى بتربيتها، وعلمها القرآن، وأتقنت حفظه ثم عكفت على الزهد والصلاح.. وكانت تعمل بيدها فتغزل الصوف وتقتات من مورده...

كانت متصدقة تبرّ الفقراء والمساكين، وتسدُّ عوز المحتاجين، ولا تدخر شيئاً من كسبها...

رُوِيَ عنها أنها كانت تقول، إذا بات بجيبها درهم ولم تتصدق به: الليلة عبادتي ناقصة..(١).

أم غسّان الأعرابية

عابدة زاهدة، مكفوفة البصر، تأكل من عمل يدها فكانت تغزل الصوف وتقول: الحمد لله على ما قضى وارتضى، رضيت من الله ما رضى لي، وأستعين بالله على بيت ضيق الفناء، قليل الكواء، وأستعين بالله على ما يطالع من نواحيه..(٢).

منيفة بنت أبي طارق

عابدة من عابدات البحرين.. كانت تجد سعادتها وسرورها في صلاة الليل، فإذا أقبل الليل قالت: بخ بخ يا نفس قد جاء سرور المؤمنين، فتلبس، وتقوم إلى محرابها، ثم كانت إذا صلّت العصر هجعت إلى غروب الشمس، وكان ذلك دأبها.. فلما قيل لها، لو جعلت هذه النومة في الليل كانت أهدأ وأسكن لبدنك قالت: لا والله لا أنام في ظلمة الليل ما دمت في الدنيا ومكثت على حالها هذه طيلة أربعين سنة...

حدث عامر بن مليك البحراني عن أمّه أنها قالت: بت ذات ليلة

---

(١) عن كتاب: «نساء زاهدات» محمد خير يوسف. «بتصرف».

(٢) «نساء زاهدات» محمد خير يوسف. «بتصرف».

عند منيفة إبنة أبي طارق، فما زادت على هذه الآية من أول الليل إلى آخره ترددها وتبكي: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[1].

منفوسة بنت زيد الفوارس

عابدة ناسكة، كثيرة البكاء من خشية الله، صابرة.. كانت لا تنقطع عن البكاء، فلما قيل لها في ذلك قالت: والله لوددت أن أبكي حتى تنقطع دموعي، ثم أبكي دماً حتى لا تبقى جارحة من جسدي فيها دم، وكانت تقول: من لم يستطع البكاء، فليرحم الباكين، فإنما الباكي يبكي لريبة في نفسه، وبما جنى عليها وهو صائر إليه.. وكانت تبكي وتقول: إلهي إنك تعلم أن العطشان من حبك لا يروى أبداً.. وتصاب منفوسة في ابنها.. وحولها النساء معولات، وإذا هو في حجرها وهي تقول: والله لتقدّمك أمامي أحبَّ إليَّ من تأخرك ورائي، ولصبري عنك أجدى من جزعي عليك وما حظ مصيبة تحلُّ من التلف محلك، وتورث من العطب مثل مضجعك؟. ولئن كان فراقك حسرة، إنَّ توقُّع أجرك لخيَرة...

وكان الفضيل بن عياض يأتيها ويتردد إليها ويسألها الدعاء..[2].

عجـردة العميـة

عابدة من عابدات البصرة.. كانت تقوم من أول الليل حتى السَّحر وتنادي بصوت لها محزون: إليك قطع العابدون دُجى الليالي بتكبير الدلج.. ولا تزال تبكي، وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر، فكان ذلك ديدنها ثلاثين سنة.

قالت آمنة بنت يعلى بن سهيل: كانت عجردة العمية تغشانا،

---

(١) عن: «أعلام النساء» بتصرف والآية من سورة آل عمران رقم(١٠١)

(٢) عن: «نساء زاهدات» محمد خير يوسف(بتلخيص وتصرف) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتلخيص وتصرف».

فتظل عندنا اليوم واليومين، فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها، وتقنعت، ثم قامت إلى المحراب فلا تزال تصلي إلى السَّحر، ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر[1].

طـايفــة

عابدة من عابدات بيت المقدس، وكانت تتعبد فيه، فيقول لها وهب بن منبه: يا طايفة: ما أشد العمل عليك، فتقول: ما أجد لي شيئاً أشد عليَّ من طول الفكر، قال: وكيف ذلك؟ قالت: إني إذا تفكرت في عظمة الله وأمر الآخرة طاش عقلي وأظلم عليَّ بصري، واسترخت لذلك مفاصلي، فقال لها وهب بن منبه: إذا أنت وجدت ذلك فافزعي إلى قراءة القرآن في المصحف[2].

فاطمـة النيسابوريـة

عابدة جليلة، كانت تتكلم في فهم القرآن وكانت وَليَّة من أولياء الله عز وجل. . .

ومن كلامها: من لم يكن الله عز وجل منه على بال فإنه يتخطى في كل ميدان ويتكلم بكل لسان، ومن كان الله منه على بال أخرسه إلا عن الصدق، وألزمه الحياء منه والإخلاص له. . وقالت: الصادق والمقرب في بحر تضطرب عليه أمواج يدعو ربه دعاء الغريق، يسأل ربّه الخلاص والنجاة. . . وقالت: من عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص. وقال لها ذو النون المصري: عظيني وقد اجتمعا في بيت المقدس. . فقالت: إلزم الصدق وجاهد نفسك في أفعالك. . وتوفيت بمكة وهي ذاهبة للعمرة سنة ٣٢٣هـ[3].

---

(١) عن: «أعلام النساء» عمر رضا كحالة (بتصرف).

(٢) عن: «أعلام النساء» عمر رضا كحالة (بتصرف).

(٣) عن: «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. (بتصرف).

عائشة بنت عثمان بن سعيد النيسابوري

عابدة زاهدة، كثيرة الزهد عظيمة الورع.. قالت لابنتها: لا تفرحي بفان ولا تجزعي من ذاهب، وافرحى بالله عز وجل...

وقالت لها: إلزمي الأدب ظاهراً وباطناً، فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً، وما أساء أحد الأدب باطناً إلاّ عوقب باطناً... وقالت: من استوحش من وحدته فذاك لقلة أنسه بربه...

وقالت: من تهاون بالعبيد، فهو لقلة معرفته بالسيد، فمن أحب الصانع أحب صنعته..[1].

---

(١) عن: «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتصرف».

الفصل العاشر:

نساء فصيحات بليغات

* السيدة: أروى بنت الحارث بن عبد المطلب.
* السيدة: أم رعلة القشيرية.
* السيدة: امرأة لا تنطق إلا بالقرآن.
* السيدة: سفانة بنت حاتم الطائية.
* السيدة: حازمة.
* السيدة: أم معبد الخزاعية.
* السيدة: قيلة بنت مخرمة.
* السيدة: امرأة يزيد بن سنان.
* السيدة: أم الهيثم المنقرية.
* السيدة: الصدوف بنت حليس العذرية.
* السيدة: الزرقاء بنت عدي الكوفية.

* السيدة: أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان.
* السيدة: أم الخير بنت الحريش.
* السيدة: الرباب بنت علقمة بن حفصة الطائي.
* السيدة: بكارة الهلالية.
* السيدة: سودة بنت عمارة بن الأشتر.
* السيدة: جروة بنت غالب التميمية.
* السيدة: ملك حفني ناصف.

أروى بنت الحارث بن عبد المطلب

من ربات الفصاحة والبلاغة، ، دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة، فلما رآها، قال: مرحباً بك يا عمة، قالت: كيف أنت يا ابن أخي، لقد كفرت بعدي بالنعمة، وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك، فقال معاوية: يا عمة. . أقصدي ما تريدين ودعي عنك أساطير النساء.

قالت: تأمر لي بألفي دينار، وألفي دينار، وألفي دينار.

قال: ما تصنعين بألفي دينار؟

قالت: أشتري بها عيناً خرَّارة، في أرض خوَّارة، تكون لفقراء بني الحارث بن عبد المطلب.

قال: هي لك، وما تصنعين بألفي دينار؟

قالت: أزوج بها فقراء بني الحارث بن عبد المطلب.

قال: هي لك، وما تصنعين بألفي دينار أخرى؟

قالت: أستعين بها على شدة الزمان، وزيارة بيت الله الحرام.

قال: قد أمرت لك بها يا عمة، ثم قال: أما والله لو كان علياً حياً ما أمر لك بهذا.

قالت: أتذكر علياً. . ثم أنشأت تقول شعراً.

فبكى معاوية. . ثم قامت فانصرفت[1].

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. (أخبار الوافدات من النساء على معاوية) العباس بن بكار، تحقيق سكينة الشهابي. «بتلخيص وتصرف».

أم رعلة القشيرية

سيدة من ربّات الفصاحة والبلاغة، جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.. إنا من ذوات الخدور، ومحل أزر البعول، ومربيات الأولاد، ومُمهِّدات المهاد، ولاحظّ لنا في الجيش الأعظم، فعلِّمنَا شيئاً يقربنا إلى الله عز وجل...

فقال لها النبي ﷺ: «**عليكن بذكر الله عز وجل آناء الليل وأطراف النهار، وغض البصر، وخفض الصوت...**».

وبعد وفاة النبي ﷺ وفي أيام الردة، قدمت إلى المدينة وحزنت على رسول الله ﷺ حزناً شديداً، وأخذت الحسن والحسين تطوف بهما أزقة المدينة وهي تبكي بكاء مراً، فهاجت المدينة لمأتمها فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وجميع أهلها يبكون[١].

امرأة لا تنطق إلا بالقرآن

قال المجاهد العابد.. عبد الله بن المبارك...

خرجت حاجًا إلى بيت الله الحرام، وزيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا في الطريق عائداً، إذا بسوادٍ أمامي، فتميزت ذلك فإذا هي امرأة عجوز، فقلت لها: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقالت: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾[٢]. فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟ فقالت: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾[٣]. فعلمت أنها ضالة عن طريقها. فقلت لها: أين تريدين؟ فقالت: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[٤].

---

(١) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «بتصرف».
(٢) سورة يس، الآية: ٥٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٦.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١.

فعلمت أنها تريد بيت المقدس. فقلت لها: من أين أنت قادمة؟ فقالت: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[1]. فعلمت أنها قادمة من الحج. فقلت لها: أنت منذكم في هذا الموضع؟ فقالت: ﴿ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ ﴾[2]. فقلت لها: ما أرى معك طعاماً تأكلين. فقالت: ﴿ هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾[3]. فقلت لها: فبأي شيء تتوضئين؟. فقالت: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾[4]. فقلت لها: إن معي طعاماً فهل لك في الأكل؟ قالت: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾[5]. فقلت: قد أبيح لنا الإفطار في السفر. قالت: ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾[6]. فقلت لها: لم لا تكلميني مثلما أكلّمك؟ فقالت: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[7]. فقلت: فمن أيِّ الناس؟ أنت؟ فقالت: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[8]. فقلت: قد أخطأت، فاجعليني في حل. قالت: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[9]. فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي فتدركي القافلة؟ فقالت: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾[10]. قال: فأنخت ناقتي هذه... قالت: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾[11]. فغضضتُ بصري عنها، وقلت لها اركبي، فلما أرادت

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٢) سورة مريم، الآية: ١٠.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٧٩.
(٤) سورة النساء، الآية: ٤٣.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.
(٧) سورة ق، الآية: ١٨.
(٨) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
(٩) سورة يوسف، الآية: ٩٢.
(١٠) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.
(١١) سورة النور، الآية: ٣٠.

أن تركب، نفرت الناقة، فمزقت ثيابها. فقالت: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[1]. فقلت لها: اصبري حتى أعقلها. فقالت: ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ ﴾[2]. فعلقت الناقة، وقلت لها اركبي. قالت: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[3]. قال: فأخذت بزمام الناقة، وجعلت أسرع وأصيح. فقالت: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾[4]. فجعلت أمشي رويداً رويداً، وأترنم بالشعر. فقالت: ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾[5]. فقلت لها: لقد أوتيت خيراً كثيراً. قالت: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[6]. فلما مشيت بها قليلاً... قلت لها: ألك زوج؟ قالت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾[7]. فسكت ولم أكلّمها حتى أدركت بها القافلة. فقلت لها هذه القافلة، فمن لك فيها؟ قالت: ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾[8]. فعلمت أن لها أولاداً. فقلت لها: كم ولداً لك؟ فقالت: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ ﴾[9]. فقلت: وما شأنكم في الحج؟ فقالت: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[10]. فعلمت أنهم أدِلاَّء الركب، فقصدت بها القباب والعمارات. فقلت: هذه القباب، فمن لك فيها؟ فقالت: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ ﴾[11]. ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ١٣ ـ ١٤.
(٤) سورة لقمان، الآية: ١٩.
(٥) سورة المزمل، الآية: ٢٠.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.
(٧) سورة المائدة، الآية: ١٠١.
(٨) سورة الكهف، الآية: ٤٦.
(٩) سورة الكهف، الآية: ٢٢.
(١٠) سورة النحل، الآية: ١٦.
(١١) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[1]. ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾[2]. ونادت.. يا إبراهيم.. يا موسى.. يا يحيى!. فإذا بشبانٍ كأنهم الأقمار، قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس. قالت: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ﴾[3]. فمضى أحدهم، فاشترى طعاماً فقدموه بين يديّ. وقالت: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾[4]. فوضعت هي اللقمة في فمها... وقالت: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾[5]. وبعد أن تلفظت بهذه الآية الكريمة، كانت تجود بنفسها وماتت. قال عبد الله بن المبارك.. ثم رأيتها في المنام، فسألتها ما شأنك؟ فقالت: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾﴾[6].

سفَّانة بنت حاتم الطائية

من ربَّات الفصاحة والبلاغة، والجود والكرم، كان أبوها يعطيها من إبله فتهبها للناس، فقال لها أبوها: يا بنية إذا اجتمع الكريمين في المال أتلفاه، فإما أن أعطي وتمسكي، وإما أن أمسك وتعطي، فقالت: والله لا أمسك أبداً، وقال أبوها وأنا لا أمسك أبدا...

فقاسمها ماله وتباينا.

وكانت سفَّانة في أسرى طيء، وأُتِيَ بها إلى النبي ﷺ فقالت: يا محمد ﷺ.. إني بنت سيّد قومي، كان أبي يفك العاني، ويحمى الذمار، ويقري الضيف، ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ويطعم

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤.
(٢) سورة مريم، الآية: ١٢.
(٣) سورة الكهف، الآية: ١٩.
(٤) سورة الحاقة، الآية: ٢٤.
(٥) سورة ق، الآية: ١٩.
(٦) سورة القمر، الآيات: ٥٤ ـ ٥٥.

الطعام ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط.. أنا بنت حاتم طيء.. فقال لها رسول الله ﷺ: **«يا جارية هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلّوا عنها..»** ثم أسلمت، وحسن إسلامها..[1].

حازمة

من ربات الفصاحة والبلاغة.. قالت لرسول الله ﷺ لما سُبِيَتْ: يا رسول الله.. هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليَّ مَنَّ الله عليك. قال: «ومن وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم، قال: «الفار من الله ورسوله..» ثم قال رسول الله ﷺ: **«قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك»**، فكساها رسول الله ﷺ وحملها وأعطاها نفقة، فخرجت حتى قدمت الشام، فلما وقفتِ على عدي بن حاتم شرعت تقول: القاطع الظالم، لم احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك.. قال: أي أخيّه لا تقولي إلا خيراً، ثم نزلت فأقامت عنده، وقال لها عدي: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً فإن يكن الرجل نبياً، فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً، فلن تزل في عز اليمن وأنت أنت.. فقال لها عدي: إن هذا الرأي والله، فخرج حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم[2].

أم معبد الخُزاعية

من ربّات الفصاحة والبلاغة.. وصفت النبي ﷺ فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، فلم تعْبه تجلة، ولم تزريه صقلة، وسيماً قسيماً، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أحور أكحل، أزج،

---

(١) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «بتلخيص وتصرف».

(٢) من: «أعلام النساء»: عمر رضا كحالة. «مع التلخيص والتصرف».

أقرن . . إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البها، فهو أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هزر، كان منطقه خرزات نظم يتحدّرن ربعه، ولا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه العين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وأن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند[1].

قيلة بنت مخرمة

من ربات الفصاحة، والبلاغة والبيان. . قدمت على رسول الله ﷺ ودخلت المسجد مع النساء وقالت: فلما صلينا جعلت أرفع بصري لأرى رسول الله ﷺ حتى دنا منه رجل فقال: السلام عليك يا رسول الله، وكان يجلس القرفصاء ضام ركبتيه إلى صدره.. فقال: «**وعليك السلام ورحمة الله**»، فلما رأيت رسول الله ﷺ والرهبة والخشوع في مجلسه، أرعدتِ من الفَرَق فقال له جليسه: يا رسول الله أرعدت المسكينة، فقال بيده: «**يا مسكينة عليك السكينة**». . . فذهب عني ما كنت أجد من الرعب. . ثم تقدم صاحبي فبايعه على الإسلام وعلى قومه وقال: يا رسول الله، اكتب لنا بالدهناء لا يجاوزها من تميم إلينا إلا مسافر أو مجاور. . فقال: «**يا غلام أكتب له بالدهناء**». . قالت قَيْلَة: فلما رأيت ذلك شُخص بـي وهي داري وموطني فقلت: يا رسول الله، إنه لم يسلك السوية من الأمر، هذه الدهناء مقيد الجمل ومرعى الغنم، ونساء تميم وأبناءها وراء ذلك. . فقال: «**صدقت، وأمسك يا غلام، المسلم أخو المسلم يسعهم الماء والشجر**»، ثم أمر رسول الله ﷺ فكتب لي في قطعة أديم أحمر «**لقيلة والنسوة بنات قَيْلة لا يظلمن حقاً، ولا يكرهن على منكح، وكل مؤمن مسلم لهنَّ نصير، وأحْسِنَّ ولا تسئن**»[2].

---

(١) «أعلام النساء» عمر رضا كحالة. «مع التلخيص».

(٢) عن: «نساء فاضلات» عبد البديع صقر. «مع التلخيص والتصرف».

امرأة يزيد بن سنان

[شاعرة من شواعر العرب]

ضرب عبد الملك بن مروان بعثاً إلى اليمن فأقاموا سنين. . وذات ليلة كان بدمشق، وأزاد أن يتسمع ما يقوله الناس في المبعث الذي غزا فيه رجالهم. . فبينما هو في بعض الأزقة إذ أبصر امرأة قائمة تصلي، فلما انصرفت إلى مضجعها قالت: اللهم يا غليظ الحجب، ويا منزل الكتب ويا معطي الرغب ويا مؤوي الغرب أسألك أن تحكم بيني وبين عبد الملك بن مروان ثم أنشأت تقول:

تطاول هذا الليل فالعين تدمع ... وأرقني حزني فقلبي موجع

فبت أقاسي الليل أرعى نجومه ... وبات فؤادي عاتياً يتقرع

إذا ما تذكرت الذي كان بيننا ... وجدت فؤادي للهوى يتقطع

وكل حبيب ذاكر لحبيبه ... يرجو لقاه كل يوم ويطمع

فذا العرش فرّج ما ترى من صبابتي ... فأنت الذي ترعى أموري وتسمع

فقال عبد الملك لحاجبه: لمن هذا المنزل وما المرأة التي فيه؟ قال: منزل يزيد بن سنان، والمرأة زوجته.

فلما أصبح سأل كم تصبر المرأة عن زوجها؟ قالوا: ستة أشهر. . فأمر عبد الملك أن لا يمكث العسكر أكثر من ستة أشهر[١].

أم الهيثم المنقرية

من ربات الفصاحة والبلاغة. . قالت عندما مات الأحنف بن قيس في الكوفة. . لله درّك من مَجنٍّ في جَنَنٍ، ومدرج في كفن، فنسأل الذي فجعنا بوجهك وابتلانا بفقدك أن يجعل سبيل الخير سبيلك، ودليل الخير دليلك، وأن يوسّع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك، فوالله لقد كنت في المحافل شريفاً، وعلى الأرامل عطوفاً، ولقد كنت في الحي

---

(١) عن: «أعلام النساء»: عمر كحالة. «بتصرف».

مُسَوَّداً وإلى الخليفة مُوَفَّدا، ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين.

حدث عمر بن خالد العثماني، قال: إعتلَّت أم الهيثم فذهبت وأبو عبيدة نعودها، فقلنا: يا أم الهيثم كيف نجدك؟ قالت: كنت وَحْمى بالدَّكة، فشهدت مأدُبة، فأكلت جُبجبة من صفيف هلعة فاعترتني زُلخة، فقلنا: يا أم الهيثم أي شيء تقولين؟ قالت: أوَ للناس كلامان، والله ما كلمتكم إلا بالعربـي الفصيح[1].

الصّدوف بنت حليس العذرية

من ربات الفصاحة والبلاغة وكانت تؤيد الكلام وتسجع في المنطق.. وقد خطبها كثيرون فردتهم، وتقول: لا أتزوج إلا من يعلم ما أسأله عنه... فلما انتهى إليها حُمران، بقي قائماً لا يجلس وكان لا يأتيها خاطب إلا جلس قبل إذنها. فقالت: ما منعك من الجلوس؟ قال: حتى يؤذن لي، قالت: وهل عليك أمير؟، قال: رَبُّ المنزل أحق بفنائه، ورب الماء أحق بسقائه، وكُلٌّ له ما في وعائه. فقالت: إجلس.. فجلس، قالت له: ما أردت؟ قال: حاجة ولم آتك لحاجة.. قالت: تسرها أم تعلنها؟ قال: تسر وتعلن، قالت: فما حاجتك؟ قال: قضاؤها هيّن وأمرها بيّن وأنت بها أخبر، قالت: فأخبرني بها. قال: قد عرضت وإن شئت بيّنت. قالت: من أنت؟ قال: أنا بشر ولدت صغيراً ونشأت كبيراً ورأيت كثيراً..، قالت: فما اسمك؟ قال: من شاء أحدث إسماً وقال ظلماً ولم يكن الاسم عليه حتماً. قالت: فمن أبوك؟. قال: والدي الذي ولدني ووالده جدي فلم يعش بعدي. قالت: فما مالك؟ قال: بعضه ورثته وأكثره اكتسبته. قالت: فمن أنت؟ قال: من بشر كثير عدده معروف ولده قليل صعده يفنيه أبده. قالت: ما ورثك أبوك؟ قال: حسن الهمم. قالت: فأين تنزل؟ قال: على بساط واسع في بلد شاسع

---

(١) عن: «أعلام النساء»: عمر كحالة. «بتصرف».

قريبه بعيد وبعيده قريب. قالت: فمن قومك؟ قال: الذي أنتمي، إليهم وأجني عليهم وولدت لديهم، قالت: فهل لك امرأة؟ قال: لو كانت لي لم أطلب غيرها ولم أضيع خيرها. قالت: كأنك ليست لك حاجة؟ قال: لو لم تكن لي حاجة لم أنخ ببابك، ولم أتعرض لجوابك وأتعلق بأسبابك... قالت: وإنك لحمران بن الأقرع الجعدي. قال: إن ذلك ليقال... فأنكحته نفسها[1].

الزرقاء بنت عدي الكوفية

من ربات الفصاحة والبيان، والعقل والرأي.. حضرت يوم صفين مع علي بن أبـي طالب رضي الله عنه ولما تم الأمر لمعاوية دعاها لتأتيه، فلما قدمت عليه قال لها: هل تعلمين لم بعثت إليك؟ قالت: سبحان الله، أنَّى لي بعلم ما لم أعلم، وهل يعلمٍ ما في القلوب إلا الله... قال: ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفِّين، وأنت بين الصفَّين توقدين الحرب وتحضين عليها؟ قالت: بلى. قال: فما حملك على هذا؟ قالت: يا أمِير المؤمنين، مات الرأس، وبُترِ الذنب ولم يعد ما ذهب، والدهر ذو غيَر، ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر. قال: صدقت، فهل تحفظين كلامك؟ قالت: والله ما أحفظه. قال: لقد سمعتك تقولين: أيها الناس، إنكم قد أصبحتم في فتنة غشَّتْكم جلابيب الظَّلَم، وجارت بكم عن قصد المحجَّة، فيا لها فتنة عمياء، صمَّاء بكماء، لا تسمع لنا عقها، ولا تنساق لقائدها: إن المصباح لا يضيء في الشمس، ولا تنير الكواكب مع القمر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه...

أيها الناس.. إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الغُصص، فكأن قد اندمل شعب الشتَّات، والتأمت كلمة العدل، ودَمغَ الحقُّ باطله، فلا يجهلن أحد فيقول: كيف

---

(١) «أعلام النساء»: عمر كحالة.

العدل وأنىَّ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، ألا وإن خضاب النساء الحنّاء، وخضاب الرجال الدماء، ولهذا اليوم ما بعده، ثم قال لها: والله يا زرقاء لقد شاركت علياً في كل دم سفكه. قالت: أحسن الله بشارتك، وأدام سلامتك، فمثلك بشّر بخير وسَرَّ جليسه.

قال: أَوَ يَسُرُّك ذلك؟ قالت: نعم والله لقد سررت بالخبر فأنَّى لي بتصديق الفعل... فقال معاوية: والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب إليّ من حبكم له في حياته. أذكري حاجتك. قالت: يا أمير المؤمنين، آليت على نفسي ألاّ أسأل أميراً أعنْتُ عليه أبدا ومثلك أعطى عن غير مسألة، وجاد عن غير طِلبة. قال: صدقت، وأمر لها وللذين معها بجوائز وكسوة..[1].

أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان

من ربات الفصاحة والبلاغة وقوة الحجة وحسن البيان أفحمت الحجاج بكلامها حينما قدم على الوليد بن عبد الملك وبينما الوليد في داره، أذن بالدخول إلى «غلالة»، كما أذن بالدخول «للحجاج».. وبينما هم جلوس، إذ أقبلت غلالة فسارَرَت الوليد، ومضت ثم عادت فسارَرَته ثم انصرفت.. فقال الوليد للحجاج: أتدري ما قالت هذه؟ فقال: لا، قال: بعثتها إليَّ ابنة عمي أم البنين تقول: ما مجالستك لهذا الأعرابي المتسلح في السلاح، فأرسلت إليها أنه الحجاج فراعها ذلك، وقالت: والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق فقال الحجاج: يا أمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعهن على سرّك، ولا تطمعهن في غير أنفسهن، ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن، وإياك ومشاورتهن فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن.

ثم دخل الوليد، على أم البنين وأخبرها بمقالة الحجاج..

---

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه «مع التلخيص».

فقالت: يا أمير المؤمنين، أحب أن تأمره غدا بالتسليم عليَّ، فأمره الوليد بذلك، ومضى الحجاج إلى أم البنين فحجبته طويلاً ثم أذنت له، فأقرته قائماً ولم تأذن له بالجلوس ثم قالت: إيه يا حجاج.. أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة ولا بقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة.

قاتل الله الشاعر، وهو ينظر إليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ	ربذاء تفزع من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغي	بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس	تركت مناظره كأمس الدابر

ثم قالت له: أخرج عني.. فدخل إلى الوليد من فوره وقال له الوليد: ما كنت فيه، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحبّ إليَّ من ظاهرها. ومن كلام أم البنين: إف للبخل ولو كان قميصاً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سكلته.

وكانت أم البنين تبعث إلى نسائها فتجتمعن عندها وتقول: أحب حديثكن فإذا أقمت في صلاتي لهوت عنكنّ ونسيتكن.. وكانت تكسوهن الثياب الحسنة وتعطيهن الدنانير، وتقول: جعل الكل قوم رغبة في شيء وجعلت رغبتي في البذل والإعطاء... والله للصِّلة والمواساة أحب إليَّ من الطعام الطيب على الجوع، ومن الشراب البارد على الظمأ[1].

أم الخير بنت الحريش

من ربات الفصاحة والبلاغة، قدمت على معاوية بن أبي سفيان بعد أن كتب إلى واليه بالكوفة أن أوفد عليَّ أم الخير بن الحريش واعلم أني مجازيك بقولها فيك بالخير خيراً وبالشر شراً...

---

(١) عن: «نساء فاضلات»: عبد البديع صقر. «بتلخيص وتصرف».

فلما ورد إليه الكاتب، ركب إليها، وأقرأها إياه، فقالت: أما أنا فغير زائغة عن الطاعة ولا معتلّةٍ بكذب، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري، مجرى النَّفس يغلى بها غلى المرجل، يوقد تحته بجزل السَّمر في الصيف. فلما حملها وأراد مفارقتها قال: يا أم الخير إن أمير المؤمنين قد ضمِن أن يجازيَني فيك بالخير خيراً، وبالشر شراً.. فما لي عندك؟ قالت: يا هذا لا يطمعك والله برّك بـي في تزويقي الباطل، ولا يؤنسك بـي معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق.. فسارت خير مسير.

وعندما دخلت على معاوية قالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ـ وكان عنده جلساؤه ـ فقال: وعليك السلام، وبالرغم منك والله دعوتني أمير المؤمنين، قالت: يا أمير المؤمنين مَهْ، فإن بديهة السلطان مدحضة لما يجب علمه، قال: صدقت، وكيف مسيرك؟ قالت: بخير لم أزل في عافية وسلامة حتى أدتني إليك الركاب، وأنا في عيشٍ وملك رفيق فتيق. ثم قال معاوية: بحسن نيتي والله ظفرت بكم وأعنْت عليكم قالت: مَهْ يا أمير المؤمنين، أعيذك بالله من خطل القول وما تردي عاقبته. قال: ليس لهذا أردناك.. قالت له: فأنا أجري في ميدانك إذا أجريت شيئاً أجريته.. ثم قالت: اسأل عما بدا لك.. قال: أخبريني كيف كان كلامك يوم قتل عمّار بن ياسر، قالت: لم أكن رويته قبل ولا درسته بعد، وإنها كانت كلمات نفثهن لساني حين الصدمة.. فالتفت إلى أصحابه فقال: أيّكم يحفظ كلامها؟ فقال أحدهم: أنا أحفظه، قال: هاته: قال: قالت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾[1] إن الله عز وجل قد أوضح الحق وأبان الباطل، ونوّر السبل ورفع العلم، فلم يَدَعْكم في عمياء مشتَبِهة، ولا عَشواء مدلهِمَّة، فإلى أين تريدون، أفراراً من أمير المؤمنين؟ ومن الزحف، أم رغبة عن

---

(١) سورة الحج، الآية: ١.

الإسلام؟ أم ارتداد عن الحق؟ أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾[1]، ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت: اللهم إنّه قد عيل الصبر، وضُعَف اليقين، وانتشرت الرغبة. وبيدك يا رب أزِمَّةُ القلوب فاجمع اللهم الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى واردد الحق إلى أهله.

ثم قالت: إنه والله من ضلّ عن الحق، وقع في الباطل ومن لم يسكن الجنة سكن النار، أيها الناس: إن الأكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطالوا مدة الآخرة فسعوا لها سَعْياً، وابتاعوا بدار لا يدوم نعيمها، ولا تتصرم همومها...

أيها الناس.. إنه لولا أن يبطل الحق، وتعطل الحدود، ويظهر الظالمون وتقوى كلمة الشيطان، لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه...

فقال معاوية: والله ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي، ولو قتلتك لما حرِجت في ذلك... قالت: إنه والله ليسرّني أن يُجْرِيَ الله قتلي على يَدَيْ من يسعدني الله بشقائه.

ثم طلبت من معاوية أن يسعها بحلمه ويعفيها من كثرة السؤال، فقال: نعم.. ونُعْمَة عين، قد أعفيتك.. ثم أمر لها بصلة وجائزة وردّها مكرّمة..[2].

الرباب بنت علقمة بن حفصة الطائي

من ربات الفصاحة والبلاغة.. جاء الحارث بن السليل الأسدي لأبيها خاطباً إياها، وكان شيخاً، سيداً في قومه...

فقالت لها أمها: يا بنية.. أي الرجال أحب إليك، الكهل

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣١.

(٢) عن: «أخبار الوافدات من النساء على معاوية»: العباس بن بكار. «بإيجاز وتلخيص».

الحَجْحَاج الفاضل الهياج، أم الفتى الوضّاح الذمول الطمّاح؟ قالت الرباب: الطماح... قالت أمها: إن الفتى يغيرك، وإن الشيخ يميرك، وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحديث السن الكثير المن. قالت: يا أمه.. إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاة أنيق الكلاء... قالت: يا بينة.. إن الفتى شديد الحجاب كثير العتاب، وإن الكهل ليّن الجناح قليل الصياح. قالت: يا أمه.. أخشى الشيخ أن يدنس ثيابي ويبلي شبابي ويشمت بي أترابي.

فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها.. وتزوجها الحارث، وبينما هو جالس ذات يوم وهي إلى جنبه، أذ أقبل فتيان يصطرعون، فتنفست صعداء ثم أرخت عينيها بالدموع فقال لها: ثكلتُك ما يبكيك؟

قالت.. ما لي والشيوخ الناهضين كالفروخ...

قال: ثكلتك أمك، تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، فذهبت مثلاً..[1].

بكارة الهلالية

شاعرة من شواعر العرب، وفصيحة ذات بيان.. هي خالة ميمونة زوج النبي ﷺ...

استأذنت على معاوية، وكانت قد أسنَّت وعشى بصرها، ترعش بين خادمين لها، فسلمت ثم جلست، فقال معاوية: كيف أنت يا خالة، قالت: بخير يا أمير المؤمنين.. قال: غيَّرك الدهر. قالت: كذلك هو ذو غير، من عاش كبر، ومن مات قبر. وكان معه بعض جلسائه، فذكروا معاوية بما أقرضته من شعر يوم صفين.. ثم سكتوا...

فقالت: يا معاوية كلامك أعشى بصري، وقصَّر حجتي وأنا والله قائلة ما قالوا، وما خفي عليك مني أكثر، لا أدفع ذلك بتكذيب،

---

(١) من: «أعلام النساء» عمر كحالة. «بتلخيص وتصرف».

فضحك وقال: ليس يمنعنا ذلك من برك، اذكري حاجتك.. قالت: أما الآن فلا[1].

سودة بنت عمارة بن الأشتر

ذات فصاحة وبيان، وشاعرة من شواعر العرب. قدمت على معاوية فقال لها: أنت القائلة لأخيك:

شَمِّرْ لفعل أبيك يا ابن عمارة يوم الطعان وملتقى الأقران
إن الإمام أخا النبي محمد علم الهدى ومنارة الإيمان
فَقِهِ الحتوف وسر أمام لوائه قدما بأبيض صارم وسنان

قالت: بلى يا أمير المؤمنين، وما مثلي رغب عن الحق، واعتذر عن الكذب.

قال: فما حملك على هذا؟ قالت: اتباع الحق، وحب عليّ. قال: فوالله ما أرى عليك من أثر عليّ شيئاً. قالت: يا أمير المؤمنين مات الرأس، وبتر الذنب، فدع عنك تذكار ما قد نسي وإعادة ما مضى. وبالله أسأل إعفائي مما استعفيت منه: قال: قد فعلت، فما حاجتك؟ قالت: يا أمير المؤمنين.. إنك أصبحت للناس سيداً ولأمرهم متقلداً، والله سائلك من أمرنا وما افترض عليك من حقنا ولا يزال يقوم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس البقر، ويسومنا الخسيسة، ويسلبنا الجليلة.. هذا بسر بن أرطأة قدم علينا من قبلك، فقتل رجالي وأخذ مالي، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، فإما عزلته عنا فشكرناك وإما لا فعرفناك.. وأطرقت تبكي وتقول:

صلى الإله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال معاوية: ومن ذلك؟ قالت: علي بن أبي طالب. قال: وما

---

(١) من: «من العقد الفريد» لابن عبد ربّه. «مع التلخيص والتصرف».

صنع بك حتى صار عندك كذلك؟ قالت: قدمت عليه في رجل ولاّه صدقتنا لأشكو إليه ما صنع، فوجدته قائماً يصلي، فلما نظر إليَّ سألني: ألك حاجة؟ فأخبرته الخبر.. فقال: اللهم إنك أنت الشاهد عليَّ وعليهم أني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك. ثم أخرج من جيبه قطعة كهيئة طرف الجواب فكتب فيها: بسم الله الرحمٰن الرحيم... ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾[1]. ﴿وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[2].. إذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك.. فأخذته منه والله ما ختمه بطين ولا حزمه بحزام.

فقال معاوية: اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها[3].

جروة بنت غالب التميمية

من ذوات الفصاحة والبلاغة.. احتجم معاوية بمكة، فلما أمسى أرق أرقاً شديداً، فأرسل في طلبها، فلما دخلت عليه قال لها: أرعناك. قالت: إي والله.. لقد طرقت في ساعة لا يطرق فيها الطير في وكره، فأرعت قلبي، وريع صبياني، وأفزعت عشيرتي وتركت بعضهم يموج في بعض، خشية منك وشفقة عليَّ. فقال: ليسكن روعك، ولتطب نفسك. فإن الأمر على خلاف ما ظننت.. إنما أرسلت إليك لتخبريني عن قومك، بني تميم... قالت: هم أكثر الناس عدداً، وأوسعهم بلداً، وأبعدهم أمداً، هم الذهب الأحمر، والحسب الأفخر، والعدد الأكثر، قالت: صدقت، فنزّليهم لي[4]. قالت: أما بنو سعد بن زيد

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

(٢) سورة هود، الآيتان: ٨٥، ٨٦.

(٣) من: «أعلام النساء» عمر كحالة. «بتلخيص وتصرف».

(٤) يريد أن تضع كل عشيرة في موضعها.

مناة، ففي العدد الأكثرون، وفي الحسب الأطيبون، يصبرون إن غضبوا، ويُدركون إن طلبوا، أصحاب سيوف وجَحَف[1]، ونزال ودُلف[2] إلا أن بأسهم فيهم، وسيفهم عليهم. . . وأما حنظلة. . فالبيت الرفيع، والحسب البديع، والعزّ المنيع، والناقضون والمكرمون للجار، والطالبون للثأر، والمناقضون للأوتار. فقال معاوية: إن حنظلة شجرة تتفرع، فنزليهم لي. . . قالت: أمّا البَراجِم فأصابع مجتمعة، وأكف ممتنعة. وأمّا بنو طهيّة، فقوم هوج، وقِرن لجُوج، وأما ربيعة، فصخرة صماء، وحية رقشاء[3]، يعتزون بعزهم، ويفخرون بقومهم. وأما بنو يربوع، ففرسان الرماح، وأسود الصباح يعتنقون الأقران، ويقتلون الأبطال والفرسان، وأما بنو مالك، فجمع غير مفلول، وعز غير منحول[4] ليوث هرَّارة[5] وخيول كرَّارة. وأما بنو دارم، فكرم لا يداني وعز لا يوازي وشرف لا يسامي. وقال معاوية: أنت أعلم الناس بتميم، فكيف علمك بقيس؟ قالت: كعلمي بنفسي. قال: فاخبريني عنهم. . . قالت: أما غطفان، فأكثر سادة، وأمنع قادة وأما فزارة، فبيتها مشهور وحسبها المذكور. . . وأما ذبيان: فخطباء شعراء، أعزة أقوياء. . وأما عبس فجمرة لا تطفأ، وعقبة لا تُعلى، وحية لا تُرقى[6]. . . وأما هوزان: فحلم ظاهر، وعز قاهر. . وأما بنو سليم ففرسان الملاحم، وأسود ضراغم وأما نُميَر، فشوكة مسمومة، وهامة ململومة، وآية مفهومة، وأما هلال فاسم فخم، وعز ضخم. . . وأما بنو كلاب: فعدد

---

(١) جحف: جمع جحفة، وهي الترس من جلد بلا خشب.

(٢) الدلف: التقدم يقال دلفت الكتيبة في الحرب أي تقدمت.

(٣) الرقشاء: هي الحيّة المتلونة بسواد وبياض.

(٤) تقصد عزهم أصيل فيهم ولم ينسبوه إلى أنفسهم كذبا كالشاعر ينحل الشعر من غيره.

(٥) هرارة: يقال هرهرة الأسد أي ترديد زئيره.

(٦) أي: لا تنفع فيها الرقية.

كثير، وبحر ذخير، وفخر أثير[١]، وحلم كثير. قال فما تقولين في قرين؟... قالت: ذروة السنَّام[٢] وسادة الأنام، والحسب القَمْقَام[٣].
قال: ما تقولين في علي بن أبي طالب؟ قالت: حاز والله الشرف الذي لا يوصف وغاية لا تعرف. فأمر لها معاوية لها بضيعة نفيسة غلتها عشرة آلاف درهم وردها إلى أهلها مكرمة[٤].

ملك حفني ناصف

شاعرة وكاتبة اجتماعية كبيرة، والدها علم من أعلام الأدب في مصر.. وقفت حياتها تدافع عن آرائها في ترقية المرأة المسلمة، وكانت متدينة محسنة ترتب كثيراً من الإعانات للفقيرات من مالها الخاص في غير زهو ولا إعلان، وتعتني بإرشادهن إلى النظافة والتعليم.

ومن أعمالها.. أنها أسست مدرسة في بيتها لتعليم التمريض بمناسبة الحرب العالمية الأولى، وحاكت بيدها مائة بدلة كاملة للهلال الأحمر المصري، ولم يكن شيء من ذلك ينسيها ما يجب عليها لزوجها وذوي رحمها ومن يقع تحت نظرها ممن أجهدهم الفقر وأعوزتهم الحاجة، وأشد ما كان برّها لوالدها فكانت تألم الألم كله لألمه.

ومن أقوالها: إن صلاح الفتاة مترتب دائماً على تربيتها الأولى، ومن شعرها قولها في الحياء:

إن الفتاة حديقة وحياؤها	كالماء موقوفاً عليه بقاؤها
بفروعها تجري الحياة فتكتسي	حللا يروق الناظرات رواؤها
إيمانها بالله أحسن حلية	فيها، فإما ضاع ضاع بهاؤها

---

(١) أي: مأثور يتوارثه كابراً عن كابر.
(٢) أي: أشراف القوم وأسيادهم.
(٣) القمقام: العدد الكثير.
(٤) من: «نساء وافدات على معاوية» للعباس بن بكار. «المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها»: عبد الله عفيفي. «بتلخيص وتصرف».

لا خير في حسن الفتاة وعلمها   إن كان في غير الصلاح رضاؤها
فجمـالهـا وقـف عليهـا إنمـا   للنـاس منهـا دينهـا ووفـاؤهـا

لقد رأت حاجة قومها إلى الإصلاح فصاحت صيحة ما زال يرن صداها وظلت تكتب وتخطب ناشدة الإصلاح، وهي المرأة المسلمة الوحيدة ـ في عصرها ـ التي فعلت ذلك بشجاعة وكفاءة، لم ينل منها شيئاً إنتقاد الناقدين وأفكار الجامدين، بل كانت شديدة الحب لقومها شديدة الغيرة على وطنها، شديدة التألم لما تراه من علامات التأخر والانحطاط ومجموع هذه العواطف من حب وغيْره وألم كان يتخلل كتاباتها وخُطبها ورسائلها ومقالاتها، كأنين متواصل ينقلب ساعة الوجع زئيراً وعويلاً. . وكذلك يتألم صاحب العقل والقلب الكبيرين كأنما هو يتألم عن أمة بأسرها. . .

وتوفيت ملك باحثة البادية سنة ١٩١٨ من الميلاد[1].

---

(١) عن: «نساء فاضلات»: عبد البديع صقر. (مع التلخيص والتصرف».

مراجـع الكتـاب

- البداية والنهاية: لابن كثير
- تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر بن جرير الطبري.
- السيرة: لابن هشام.
- الطبقات الكبرى: لابن سعد.
- تاريخ الطبري.
- عيون الأثر في فنون المغازي والسير: لابن سيد الناس أبي الفتح اليعمري.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر.
- العقد الفريد: لابن عبد ربه.
- أخبار الوافدات من النساء على معاوية: العباس بن بكار: تحقيق سكينة الشهابي.
- نساء أنزل الله فيهن قرآنا: د. عبد الرحمٰن عميرة.
- تراجم سيدات بيت النبوة: د. عائشة عبد الرحمٰن.
- المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: عبد الله عفيفي.
- الداعية زينب الغزالي، مسيرة وجهاد: إعداد ابن الهاشمي.
- كرائم النساء: أحمد محمد جمال.
- نساء فاضلات: عبد البديع صقر.
- نساء زاهدات: محمد خير يوسف.
- أعلام النساء: عمر رضا كحّالة.

بعض التعاريف والمصطلحات

متفق عليه: أي رواه البخاري ومسلم.

راوه الشيخان: أي البخاري ومسلم.

رواه الثلاثة: أي البخاري ومسلم وأبو داود.

رواه الأربعة: أي البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

رواه الخمسة: أي البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

رواه الجماعة: رواه الخمسة وابن ماجه.

رواه أصحاب السنن: أي أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

راوي الحديث: أي الصحابـي الذي سمعه من النبـي ﷺ.

مخرج الحديث: الذي خرجه بالسند في كتابه.

الحديث الصحيح: الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط (تام الضبط) حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ أو إلى منتهاه من صحابـي أو من دونه، ولا يكون شاذاً ولا معللاً أي ما اكتشف فيه علة تقدح في صحته.

الحديث الحسن الصحيح: وهو عند الترمذي ـ أعلى من الحسن ودون الصحيح.

الحديث الحسن: ما اتصل سنده بعدل خفيف الضبط وسلم من الشذوذ والعلة أي لا يكون راويه متهماً بكذب ويروي من غير وجه نحو ذلك ولا يكون شاذاً ولا كثير الغلط بل «خفيف الضبط فقط».

الحديث الضعيف: أي ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن كأن يكون قد سقط من إسناده الصحابـي (المرسل) أو سقط من إسناده رجل أو ذكر رجل مبهم (المنقطع) أو سقط فيه راويان بشرط التوالي أو لم يصح سماعه ممن عاصره ولقبه (مدلس) أو اكتشف فيه علة تقدح في صحته وإن كان يبدو في الظاهر سليماً من العلل.

الحديث الغريب: رواه شخص واحد ويحكم له بالصحة أو الحسن أو الضعف تبعاً لحال الراوي.

موجز عن الأئمة الأعلام[1] المذكورين في تخريج الأحاديث أو في الجرح والتعديل السبعة

أحمد بن حنبل

هو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ولد في ربيع الأول سنة (١٦٤هـ) توفي في ١٢ ربيع الأول، نهار الجمعة سنة (٢٤١هـ) أعظم الأئمة بلاء وثباتاً في الدين. كان يحفظ ألف ألف حديث. قيل: إنه أسلم يوم موته عشرون ألفاً من النصارى واليهود والمجوس.

البخاري ـ محمد بن إسماعيل

هو أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه (بفتح فسكون فكسر فسكون) الجعفي، مولاهم ولاء إسلام، البخاري ولد في شوال (١٩٤هـ) وتوفي ليلة عيد الفطر سنة (٢٥٦هـ)، كان آية في صناعة الحديث. وكتابه الجامع الصحيح أصح الكتب بعد كتاب الله. غني عن التعريف.

مسلم بن الحجاج

هو أحد الأئمة الأعلام، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ولد سنة (٢٠٤هـ) وتوفي في رجب سنة (٢٦١هـ) وكتابه الصحيح أصح الكتب بعد صحيح البخاري، سمع عن البخاري وغيره من أكابر أئمة الحديث.

---

(١) الموجز عن الأئمة من كتاب بلوغ المرام ـ دار الفيحاء.

أبو داود سليمان بن الأشعث

هو أحد أعلام الحديث أبو سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني - بكسر أو فتح فكسر فسكون - صاحب السنن ولد سنة (٢٠٢هـ) وتوفي يوم الجمعة منتصف شوال سنة (٢٧٥هـ) برع في صناعة الحديث حتى قيل: أُلين لأبـي داود الحديث كما أُلين لداود الحديد. قال: كتبت عن النبـي ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما تضمنه السنن.

الترمذي - أبو عيسى محمد بن عيسى

الترمذي - بتثليث التاء وضم الميم وكسرها، نسبة إلى بلدة قديمة على الضفة الشرقية من نهر جيحون (أمودريا) - وهو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي صاحب الجامع ولد سنة (٢٠٩هـ) وتوفي في ١٣ رجب سنة (٢٧٩هـ) قال عن جامعه: من كان في بيته فكأنما في بيته نبـي يتكلم. وهو تلميذ البخاري وخريجه وقد مات البخاري ولم يخلف بخراسان مثل أبـي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد، بكى حتى عمي، وبقي ضريراً سنين.

النسائي - أبو عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب

النسائي - نسبة إلى نساء، بفتح النون مداً وقصراً: مدينة بخراسان - وهو أبو عبد الرحمٰن أحمد بن علي بن شعيب بن علي الحافظ صاحب السنن المجتبـي ولد سنة (٢١٥هـ) وتوفي سنة (٣٠٣هـ)، برع في صناعة الحديث وتفرد بالحفظ والإتقان، وسننه أقل السنن بعد الصحيحين حديثاً ضعيفاً، سكن بمصر. وخرج إلى دمشق، وصنف كتاب الخصائص في فضل علي فداسوه حتى أخرجوه من المسجد، ثم حمل إلى مكة فتوفي بها.

محمد بن يزيد بن ماجه

هو أحد الأعلام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني صاحب السنن ولد سنة (٢٠٧هـ) وتوفي في رمضان سنة (٢٧٣،

أو ٢٧٥هـ) وماجه بتخفيف الجيم وفي آخره هاء ساكنة وليست بتاء، سمع عن أصحاب مالك وغيرهم وروى عنه خلق. وفي سننه عدد كبير من الأحاديث الضعيفة بل المنكرة.

ما عدا السبعة:

إسحاق بن راهوية

هو الإمام الحافظ الكبير أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم التميمي الحنظلي المروزي نزيل نيسابور وعالمها بل شيخ أهل المشرق يعرف بابن راهويه، قال أحمد: لا أعلم لإسحاق بالعراق نظيراً، قال أبو زرعة: ما رئي أحفظ من إسحاق، وقال أبو حاتم: العجب من إتقانه وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ، ولد سنة (١٦٦هـ) وقيل: (١٦١هـ) وتوفي ليلة نصف شعبان سنة (٢٣٨هـ).

الإسماعيلي أحمد بن إبراهيم

هو الإمام الحافظ الثبت شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن العباس الإسماعيلي الجرجاني، كبير الشافعية بناحيته، كان متفرداً ببلاد العجم، له معجم مروي، صنف الصحيح وأشياء كثيرة، من جملتها مسند عمر هذبه في مجلدين، قال الحاكم: كان الإسماعيلي واحد عصره، وشيخ المحدثين والفقهاء، وأجلهم في الرياسة والمروءة والسخاء، ولا خلاف بين علماء الفريقين وعقلائهم فيه ولد سنة (٢٧٧هـ) وتوفي في رجب سنة (٣٧١هـ) وله ٩٤سنة.

البزار ـ أحمد بن عمرو

هو الإمام الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، أحد الأعلام، صاحب المسند الكبير والعلل، أخذ عن الطبراني وغيره، توفي سنة (٢٩٢هـ) والبزار بفتح الباء وتشديد الزاي المعجمة، وبعد الألف راء مهملة.

البيهقي ـ أحمد بن الحسين

البيهقي ـ بفتح الباء بينهما ياء ساكنة، نسبة إلى بيهق بلدة قرب نيسابور ـ وهو الحافظ الإمام العلام أبو بكر أحمد بن الحسين ولد في شعبان سنة (٣٧٤هـ) وتوفي في ٨ جمادى الأولى سنة (٤٥٨هـ) من كبار أئمة الحديث وفقهاء الشافعية، له من التصانيف ما لم يسبق إلى مثلها، منها السنن الكبرى، والسنن الصغرى، والمبسوط والأسماء والصفات قال الذهبي: تآليفه تقارب ألف جزء.

ابن الجارود ـ عبد الله بن علي

هو الإمام الحافظ الناقد أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري المجاور بمكة صاحب المنتقى في الأحكام، كان من العلماء المتقنين المجودين توفي سنة (٣٠٧هـ).

أبو حاتم الرازي ـ محمد بن إدريس

هو الإمام الحافظ الكبير أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي ولد سنة (١٩٥هـ) وتوفي في شعبان سنة (٢٧٧هـ) أحد الأعلام الذين برعوا في صناعة الحديث، من كبراء أئمة الجرح والتعديل.

الحارث بن أبي أسامة

هو الإمام أبو محمد الحارث بن أبي أسامة محمد بن داهر التميمي البغدادي الحافظ صاحب المسند، ومسنده لم يرتبه، وثقه إبراهيم الحربي وأبو حاتم، وقال الدارقطني: صدوق. ولد سنة (١٨٦هـ) وتوفي يوم عرفة سنة (٢٨٢هـ) وله ٩٧ سنة.

أبو عبد الله الحاكم

هو إمام المحققين أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الحاكم المعروف بابن البيع ـ بفتح الباء وتشديد الياء المكسورة ـ

صاحب المستدرك ولد سنة (٣٢١هـ) وتوفي في صفر سنة (٤٠٥هـ)، سمع من ألفي شيخ أو نحو ذلك، له التصانيف الفائقة مع التقوى والديانة.

ابن حبان ـ أبو حاتم محمد بن حبان

هو أحد الأعلام أبو حاتم محمد بن حبان ـ بكسر فتشديد ـ بن أحمد بن حبان البستي ـ بضم فسكون، نسبة إلى مولده بست من بلاد سجستان ـ كان من أوعية العلم، وفقهاء الدين، وحفاظ الآثار، من أجل تلامذة ابن خزيمة، توفي بسمرقند سنة (٣٥٤هـ) وهو في عشر الثمانين.

محمد بن إسحاق بن خزيمة

هو شيخ الإسلام وأحد الأعلام الحافظ الكبير، ابن خزيمة محمد بن إسحاق ـ بالتصغير ـ ولد سنة (٢٢٣هـ) في نيسابور وتوفي بها سنة (٣١١هـ) انتهت إليه الإمامة والحفظ في عصره بخراسان، وتصانيفه تزيد على مائة وأربعين كتاباً.

ابن أبـي خيثمة

هو الإمام الحافظ الحجة أبو بكر أحمد بن أبـي خيثمة زهير بن حرب النسائي ثم البغدادي صاحب التاريخ الكبير، قال الدارقطني: ثقة مأمون، وقال الخطيب: ثقة عالم متقن حافظ بصير بأيام الناس، راوية للأدب، أخذ علم الحديث عن أحمد بن حنبل وابن معين، مات في جمادى الأولى سنة (٢٨٩هـ) وقد بلغ ٩٤ سنة.

الدارقطني ـ علي بن عمر

الدارقطني ـ بفتح الراء وضم القاف، نسبة إلى دار القطن، كانت محلة كبيرة ببغداد ـ وهو الحافظ الكبير، والإمام العديم النظير أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي ولد سنة (٣٠٦هـ) وتوفي في ٨ ذي القعدة سنة (٣٨٥هـ) كان فريد عصره وإمام وقته، انتهت إليه رياسة علم الحديث والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال في زمانه.

الدارمي

هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام بسمرقند أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي صاحب المسند العالي. سمع بالحرمين وخراسان والشام والعراق ومصر، حدث عنه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وآخرون، كان على غاية العقل وفي نهاية الفضل، يضرب به المثل في الديانة والحلم والاجتهاد والعبادة والتقلل، ولد سنة (١٨١هـ) ومات يوم التروية سنة (٢٥٥هـ).

أبو داود الطيالسي ـ سليمان بن داود

هو الحافظ الكبير سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الأصل مولى آل الزبير البصري، أحد الأعلام، قال القلاس وابن المديني: ما رأيت أحفظ منه، وقال ابن مهدي: هو أصدق الناس، كتب عن ألف شيخ، مات سنة (٢٠٤هـ) وكان من أبناء الثمانين.

ابن أبي الدنيا ـ عبد الله بن محمد بن عبيد

هو المحدث العالم الصدوق أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي الأموي مولاهم، البغدادي، صاحب التصانيف، أدب غير واحد من أولاد الخلفاء، وهو مؤدب المعتضد، ولد سنة (٢٠٨هـ) وتوفي في جمادى الأولى سنة (٢٨١هـ).

الذهلي

هو شيخ الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث وحافظ نيسابور أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس مولى بني ذهل، سمع عن خلائق بالحرمين والشام ومصر والعراق والري وخراسان واليمن والجزيرة، وبرع في هذا الشأن، انتهت إليه مشيخة العلم بخراسان، عن أحمد قال: ما رأيت أحداً أعلم بحديث الزهري من محمد بن يحيى، ولد بعد السبعين ومائة، ومات في ربيع الأول سنة (٢٥٨هـ).

أبو زرعة الرازي ـ عبيد الله بن عبد الكريم

هو الحافظ المحدث الكبير عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ أبو زرعة الرازي القرشي مولاهم، أحد الأعلام، وأحد أئمة الجرح والتعديل، روى عنه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وآخرون، قال الذهبي: سمع خلقاً كثيراً بالحرمين والعراق والشام والجزيرة وخراسان ومصر، وكان من أفراد الدهر حفظاً وذكاء وديناً وإخلاصاً وعلماً وعملاً، مات في آخر يوم من سنة (٢٦٤هـ) وله ٦٤ سنة.

سعيد بن منصور

هو سعيد بن منصور بن شعبة المروزي، ويقال: الطالقاني ثم البلخي، مجاور مكة، صاحب السنن، أثنى عليه أحمد بن حنبل وفخم أمره، وقال حرب الكرماني: أملى علينا نحواً من عشرة آلاف حديث من حفظه، مات بمكة في رمضان سنة (٢٢٧هـ) في عشر التسعين.

ابن السكن ـ سعيد بن عثمان

هو الحافظ الإمام الحجة أبو علي سعيد بن السكن ـ بفتح السين والكاف ـ البغدادي، عني بهذا الشأن فجمع وصنف وبعد صيته، ولد سنة (٢٩٤هـ) وتوفي سنة (٣٥٣هـ).

الشافعي ـ محمد بن إدريس

هو أحد الأئمة المتبوعين، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المكي، نزيل مصر ولد سنة (١٥٠هـ) وتوفي ليلة الجمعة سلخ رجب سنة (٢٠٤هـ) ولد بغزة وحمل إلى مكة وتوفي بمصر. كان حبر الأمة، منقطع القرين، أعلم الناس شرقاً وغرباً، برع في العلوم وابتكر أصول الفقه، وجده شافع صحابي لقي النبي ﷺ وهو مترعرع.

أبو بكر بن أبـي شيبة

هو الحافظ العديم النظير أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبـي شيبة إبراهيم بن عثمان بن حواسي العنسي مولاهم، الكوفي، صاحب المسند والمصنف وغير ذلك. كان رأساً في الحديث، روى عنه أبو زرعة والبخاري ومسلم وأبو داود وخلف مات في المحرم سنة (٢٣٥هـ).

الطبراني ـ سليمان بن أحمد

هو مسند الدنيا الإمام الحجة أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، حدث عن ألف شيخ أو يزيدون، ورحل في طلب الحديث من الشام فأقام في الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة، له المصنفات الممتعة الغريبة، منها المعاجم الثلاثة: الكبير، والأوسط، والصغير، ولد سنة (٢٦٠هـ) بطبرية الشام، وسكن أصبهان وتوفي بها لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة (٣٦٠هـ).

الطحاوي ـ أحمد بن محمد

هو الإمام العلامة الحافظ أبو أحمد بن محمد سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي ـ وطحا قرية من قرى مصر ـ كان أولاً شافعياً يقرأ على المزني ـ وكان ابن أخته ـ فقال له المزني يوماً: والله لا جاء منك شيء فغضب وانتقل إلى ابن أبـي عمران الحنفي فتحنف وتحمس لإثبات مذهبهم حتى تكلف بتسوية الأخبار على مذهبه، والاحتجاج بما هو ضعيف عند غيره، وتصدي لتضعيف ما لا حيلة بما لا يضعف به على ما قاله البيهقي، من أشهر تصانيفه شرح معاني الآثار، ولد سنة (٢٢٨هـ) وقيل (٢٣٧هـ) وتوفي في مستهل ذي القعدة سنة (٣٢١هـ).

ابن عبد البر ـ يوسف بن عبد الله

هو الإمام العلام، شيخ الإسلام، حافظ المغرب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبـي،

سيد أهل الزمان في الحفظ والإتقان، كان ماهراً في الأنساب والأخبار، قال ابن حزم: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً فكيف أحسن منه، له عدة تصانيف أشهرها الاستيعاب، ولد في ربيع الآخر سنة (٣٦٨هـ) وتوفي ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة (٤٦٣هـ) وله ٩٥ سنة.

عبد الحق

هو الحافظ العلامة الحجة أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد الأزدي الاشبيلي سكن بجاية فنشر بها علمه وصنف التصانيف، واشتهر اسمه وبعد صيته، ولي خطابة بجاية، وكان فقيهاً حافظاً عالماً بالحديث وعلله وعارفاً بالرجال، موصوفاً بالخير والصلاح والزهد والورع ولزوم السنة والتقلل من الدنيا، مشاركاً في الأدب وقول الشعر. ولد سنة (٥١٠هـ) وتوفي ببجاية في ربيع الآخر سنة (٥٨١هـ).

عبد الرزاق بن همام

هو الإمام الحافظ الكبير أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، الصنعاني، كان من أوعية العلم، روى عنه أحمد وإسحاق وابن معين والذهلي، عمي في آخر عمره فتغير، مات في شوال سنة (٢١١هـ) وله ٨٥ سنة.

ابن عدي ـ عبد الله

هو الإمام المشهور الحافظ الكبير أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني أحد أئمة الجرح والتعديل، وأحد الأعلام، عرف بابن القصار أيضاً ولد سنة (٢٧٩هـ) وتوفي في جمادى الآخرة سنة (٣٦٥هـ).

العقيلي ـ محمد بن عمرو

هو الحافظ الإمام أبو جعفر بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي صاحب كتاب الضعفاء الكبير، كان جليل القدر، عظيم الخطر، كثير التصانيف، مقدماً في الحفظ، وكان مقيماً بالحرمين، وتوفي سنة (٣٢٢هـ).

علي بن المديني

هو إمام الجرح والتعديل، حافظ العصر وقدوة أهل الحديث أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي، مولاهم، المديني، روى عنه البخاري وأبو داود وخلق، قال ابن مهدي: علي بن المديني أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ وقال البخاري: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني. ولد سنة (١٦١هـ) وتوفي بسامرا في كتيبة القعقة سنة (٢٣٤هـ).

أبو عوانة ـ يعقوب بن إسحاق

هو الحافظ المحدث يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن زيد النيسابوري ثم الإسفرائيني، أحد الأعلام وصاحب المسند الصحيح المخرج على مسلم، رحل في أقطار الأرض لطلب الحديث، روي عن خلق. وروى عنه خلق، حج خمس مرات توفي سنة (٣١٦هـ) وقبره بإسفرائين معروف يزار.

ابن القطان ـ علي بن محمد

هو الحافظ الإمام الناقد العلامة أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الفأسي، ولد في قرطبة وأقام في فأس، كان من أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لأسماء رجاله، وكان صاحب التآليف، ولد سنة (٥٦٢هـ) وتوفي في ربيع الأول سنة (٦٢٨هـ).

الإمام مالك

هو أحد الأئمة الأربعة المتبدعين، إمام دار الهجرة، فقيه الأمة وزعيم أهل الحديث أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ـ نسبة إلى جده التاسع ذي أصبح، وأصبح من أكرم قبائل اليمن ـ ولد سنة (٩٣هـ) أو (٩٤هـ) وتوفي في ربيع الأول سنة (١٧٩هـ) أخذ عن تسعمائة شيخ فأكثر، وحدث عنه أمم لا يكادون يحصون، ومن تلامذته الإمام الشافعي.

ابن منده ـ محمد بن إسحاق

هو الإمام الحافظ الجوال أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده ـ بفتح فسكون ففتح ـ أحد الأعلام الحفاظ المكثرين من الحديث، طوف البلاد، ولما رجع كانت كتبه عدة أحمال، قيل: أربعين حملاً، وبلغت عدة شيوخه ألفاً وسبعمائة. ولد سنة (٣١٠هـ) وتوفي في سلخ ذي القعدة سنة (٣٩٥هـ).

أبو نعيم الأصبهاني

هو الحافظ المشهور أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، أحد أعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ، أخذ عن الأفاضل، وأخذوا عنه، له تصانيف منها المستخرج على كل من الصحيحين، ومنها حلية الأولياء، وهو من أحسن الكتب، يقال: إنه حمل إلى نيسابور فاشتروه بأربعمائة دينار، ولد في رجب سنة (٣٣٤هـ) وتوفي في صفر، وقيل: في العشرين من المحرم سنة (٤٣٠هـ) بأصبهان «نعيم بالتصغير».

أبو يعلى ـ أحمد بن علي

هو محدث الجزيرة الحافظ أحمد بن علي بن المثني بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، صاحب المسند الكبير، كان من أهل الصدق والأمانة والدين والحلم، قال السمعاني: سمعت إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ يقول: قرأت المسانيد كمسند العدني ومسند ابن منيع وهي كالأنهار، ومسند أبي يعلى كالبحر يكون مجتمع الأنهار، كان مولده في شوال سنة (٢١٠هـ) وتوفي سنة (٣٠٧هـ).

فهـــرس المحتويات

في هذا الكتاب:

- خير نساء العالمين
- أمهات الأنبياء عليهن السلام
- أزواج النبي أمهات المؤمنين رضي الله عنهن
- بنات النبي ﷺ
- نساء صحابيات
- نساء شهيرات
- نساء تابعيات
- نساء مجاهدات
- نساء عابدات زاهدات
- نساء فصيحات بليغات

مكتبة الخدمات الحديثة
المملكة العربية السعودية-جدة
٤٦ شارع العلماء المتفرع من شارع الصحافة .
بالقرب من الدفاع المدني ومسجد الأميرة .
تليفون وفاكس ٦٧٢٦١٦٥ - صندوق بريد ١٦٥٣٣٥ -